القراءات المتواترة في كتاب المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها

د. السالم محمد محمود الشنقيطي
أستاذ القراءات المشارك بجامعة طيبة بالمدينة المنورة

بسم الله الرحمن الرحيم ← خطأ

الحمد لله رب العالمين القائل ﴿ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ﴾، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على نبينا محمد ﷺ القائل: (أنزل القرآن على سبعة أحرف)[1] ورضي الله عن جميع صحابته وآل بيته الكرام، الذين نقلوا لنا القرآن كما سمعوه منه وتلقوه عنه، ورحم الله العلماء العاملين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن كتاب ((المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها)) لإمام العربية وشيخ التصريف أبي الفتح عثمان بن جني (ت:٣٩٢هـ) رحمه الله تعالى من أمهّ كتب القراءات التي جمعت بين دفتيها ما يسمّى بالقراءات الشاذة، واحتجت لها من حيث اللغة والعربية.

ولما كان مفهوم الشذوذ في القراءة في زمن ابن جني يختلف عن مفهومه في عصرنا الحاضر، وذلك بعد أن استقرّ العمل على التواتر واعتبار غيره شاذا، ونتج عن هذه المغايرة وهذا الاختلاف في المفهومين عند المعاصرين من غير المختصين في القراءات اعتبارهما مفهوما واحدا، استعنت الله تعالى في كتابة هذا البحث القراءات المتواترة في كتاب المحتسب فاستخرجت من الكتاب المذكور كل القراءات المتواترة الصحيحة المقروء بها اليوم؛ وذلك لبيان نقطتين أساسيتين:

الأولى: أن مفهوم الشاذ عند ابن جني رحمه الله تعالى يخالف المفهوم المصطلح عليه اليوم عند أهل القراءات.

الثانية: لفت انتباه الباحثين في توثيقهم للقراءات من هذا الكتاب بالمحتسب إلى أن ليس كل قراءة فيه هي قراءة شاذة، بل فيه ما هو شاذ وما هو متواتر فبهذا البحث بحول الله تعالى تتميز القراءات الشاذة عن غيرها.

هذا وقد جاءت خطة البحث في مقدمة وفصلين وخاتمة.

أما المقدمة فذكرت فيها بيان سبب اختيار الموضوع.

الفصل الأول: ابن جني وكتابه المحتسب وفيه مبحثان:

المبحث الأول: ترجمة موجزة لابن جني وتكلمت فيها باختصار عن اسمه وكنيته، ولقبه، ونشأته، وذكرت بعض شيوخه وتلاميذه، ولم أطل الحديث في هذا؛ لأنه قد كتب عنه كثيرا، وأقيمت عليه دراسات وأبحاث علمية أخرى..

المبحث الثاني: الشاذ في كتاب المحتسب، وفيه الحديث عن:

١- مفهوم الشاذ عند ابن جني.

٢- منهج ابن جني في ذكره القراءات المتواترة الشاذة بمفهومه هو.

٣- الملحوظات على منهج ابن جني في ذكره المتواتر.

الفصل الثاني: القراءات المتواترة في كتاب المحتسب.

واتبعت ابن جني في ترتيبه، حيث اتبع المصحف الشريف، ولما كان هناك سور شريفة لا تدخل تحت إطار بحثي هذا؛ لعدم ذكر ابن جني قراءات متواترة فيها، فإني اكتفيت بعدم ذكرها دلالة على خلوها من ذلك؛ وهذا طلبا للاختصار.

الفصل الأول: ابن جني وكتابه المحتسب

المبحث الأول: ترجمة موجزة لابن جني:

اسمه وكنيته ولقبه:

هو: عثمان بن جني الأزدي، مولاهم، أبو الفتح، الموصلي ولادة ونشأة.

مولده: ولد على الأرجح قبل سنة: ٣٢٠هـ.

شيوخه: تتلمذ أبو الفتح ابن جني رحمه الله تعالى على كبار علماء عصره من أئمة اللغة والأدب، إلا أنني هنا اكتفي بذكر اثنين من شيوخه؛ لصلتهما بعلم القراءات، وخدمتهما لهذا العلم، وربما كانا عمدة ابن جني في هذا العلم، وهما:

١- محمد بن الحسن بن يعقوب، أبو بكر بن مقسم، ولد سنة: (٢٦٥هـ) إمام مقرئ نحوي، من أعرف أهل زمانه بالقراءات مشهورها وغريبها وشاذها، وله اختيار في القراءة مشهور في كتاب "الكامل" للإمام الهمذاني، وله أيضا كتاب جليل في التفسير ومعاني القرآن سماه "الأنوار".

أخذ القراءة عرضا عن إدريس بن عبد الكريم [٢]، وأبي العباس المعدل [٣]، وغيرهما، كما روى عنه القراءة أئمة كبار كثيرون منهم: أبو بكر ابن مهران [٤]، وعلي بن أحمد بن عمر الحمامي [٥]، توفي رحمه الله تعالى يوم الخميس ثامن ربيع الآخر سنة: (٣٥٤هـ) [٦].

٢- الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو علي الفارسي، إمام النحو المشهور، ولد سنة: (٢٨٨هـ)، أخذ القراءة عرضا عن ابن مجاهد [٧]، ألف كتبا كثيرة منها "الحجة" شرح ووجه فيه القراءات التي ذكرها ابن مجاهد في كتابه "السبعة"، وقد صحب ابن جني شيخه أبا علي الفارسي من سنة: (٣٣٧هـ) تقريبا إلى أن توفي الشيخ رحمه الله تعالى وذلك سنة: (٣٧٧هـ) [٨].

تلاميذه: تتلمذ على ابن جني رحمه الله تعالى جماعة من الأئمة أذكر اثنين من أشهرهما، وهما:

١- عمر بن ثابت بن إبراهيم، أبو القاسم، الثمانيني، الموصلي، الضرير، أخذ عنه الشريف يحيى بن محمد بن طباطبا، صنف شرحا للمع، وشرحا للتصريف

الملوكي، توفي سنة: (٤٤٢هـ)[٩].

٢- عبد السلام بن الحسين بن محمد بن طيفور، أبو أحمد، البصري، المقرئ اللغوي، قرأ على الحسين بن إبراهيم الصائغ، وعلي بن محمد بن خشنام وغيرهما، وقرأ عليه أبو علي الشرمقاني، والحسن بن علي العطار، توفي سنة: (٤٠٥هـ)[١٠].

المبحث الثاني: الشاذ من كتاب المحتسب:

١ـ مفهوم الشاذ عند ابن جني رحمه الله تعالى:

الشاذ مصطلح علمي يختلف المراد به باختلاف العلم الذي يكتب فيه، فالمراد به عند القراء غير المراد به عند أهل اللغة والنحو والحديث، وهكذا.

والذي يهمنا في هذا البحث هو المراد به عند أهل القراءات، ثم بيان مفهومه عند ابن جني رحمه الله تعالى وهل هو موافق لهم أم لا؟ فأقول والله الموفق:

اشترط أهل القراءات لصحة أي قراءة وقبولها توفرها على ثلاثة أركان:

الأول: تواترها، وصحة سندها المتصل إلى النبي ﷺ.

الثاني: موافقتها لرسم أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا.

الثالث: موافقتها لوجه من وجوه النحو سواء أكان أفصح أم فصيحا.

وبمجموع واجتماع هذه الأمور الثلاثة تكون القراءة صحيحة مقروءا بها، وبفقدها ولو لواحد من الأمور الثلاثة تكون غير ذلك، وهو ما يسمونه القراءة الشاذة.

إذن: يمكن القول بأن الشاذ عند أهل القراءات هو ما فقد ركنا من أركان قبول القراءة وصحتها، وهذا كله قد نظمه الإمام ابن الجزري رحمه الله تعالى (ت:٨٣٣هـ) بقوله:

فكل ما وافق وجه نحو ... وكان للرسم احتمالا يحوي

وصح إسنادا هو القرآن ... فهذه الثلاثة الأركان

وحيث ما يختل ركن أثبت ... شذوذه لو أنه في السبعة

وقال الإمام الجعبري رحمه الله تعالى (ت:٧٣٢هـ): "الشاذ عندهم القراءة لم يتواتر". اهـ

والذي تواتر عن أهل القراءات هو هذه القراءات السبعة المعروفة إضافة لقراءة أبي جعفر ويعقوب وخلف.

وهذه القراءات هي المتواترة الصحيحة التي جمعها الإمام ابن الجزري رحمه الله تعالى في كتابه "النشر في القراءات العشر"، أما غيرها فيعتبر من الشواذ فلا يقرأ به ولا يعتد به.

بعد هذا يأتي السؤال وهو: ما هو مفهوم الشاذ عند ابن جني رحمه الله تعالى؟

فأقول وبالله تعالى التوفيق:

باستقراء كتاب "المحتسب" وجدت أن مفهوم الشاذ عند مؤلفه رحمه الله تعالى هو: كل ما زاد أو خرج عن القراءات السبعة التي ذكرها ابن مجاهد رحمه الله تعالى في كتابه "السبعة"، ويؤكد لي هذا الأمور التالية:

١- تسميته كتابه بـ"المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها" فذكره كلمة "شواذ" مع إدخال قراءات متواترة من غير السبعة لدليل قوي وواضح -عندي- أن الشاذ عنده هو ما خرج عن السبعة، وهو ما أكده هو نفسه رحمه الله تعالى عندما قسم القراءات فقال:

"الضرب الأول: اجتمع عليه أكثر أهل الأمصار، وهو ما أودعه أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد كتابه الموسوم لقراءات السبعة". اهـ

الضرب الثاني: ضرب تعدى ذلك، فسماه أهل زماننا شاذا، أي: خارجا عن قراءة القراء السبعة".اهـ (١١)

فهذا نص صريح منه أن ما خرج عن السبعة فهو شاذ عنده وعند أهل زمانه.

٢- إدخاله قراءات متواترة كقراءة يعقوب وأبي جعفر وهما مما زاد على السبعة وهذا يدل على اعتباره لهما من الشواذ.

٣- تصريحه أكثر من مرة بشذوذ الخارج عن السبعة؛ فمن ذلك قوله:

أ- ((... إلا أننا وإن لم نقرأ في التلاوة بما الشاذ عند أهل زمانه مخافة الانتشار فيه، ونتابع من يتبع في القراءة كل جائز رواية ودراية، فإننا نعتقد قوة هذا المسمى شاذا)) اهـ (١٢)

ب- ((وأنا بإذن الله تعالى بادئ بكتاب أذكر فيه أحوال ما شذ عن السبعة)) اهـ (١٣)

ج- ((اعلم أن جميع ما شذ عن قراءة القراء السبعة...وضرب ثان وهو هذا الذي نحن على سمته، أعني ما شذ عن السبعة)) اهـ (١٤)

فهذه المنقولات من كلامه كلها مؤكدة على أنه رحمه الله تعالى كان يميل إلى القول بشذوذ ما زاد وخرج عن القراءات السبعة التي ذكرها ابن مجاهد رحمه الله تعالى.

والله تعالى أعلم

٢ـ منهج ابن جني في ذكره القراءات المتواترة الشاذ بمفهومه هو:

هذا البحث أعني القراءات المتواترة في كتاب المحتسب ليس بصدد دراسة منهج ابن جني في "المحتسب" من جميع النواحي، وإنما الغرض منه دراسة الجانب المتعلق بعنوان البحث وهو: ((القراءات المتواترة)) لذا فسيكون كلامي على منهجية ابن جني هنا ومنصبة عليها فقط، فأقول:

أولا: تفريقه بين الشذوذ واللحن:

عرفنا فيما سبق أن القراءة الشاذة هي ما خلت من شرط أو أكثر من شروط القراءة الصحيحة.

ومن هنا يتضح أن لا علاقة بين الشذوذ واللحن في القراءة، وهو ما صرح به ابن جني رحمه الله تعالى، وذلك أثناء حديثه عن قراءة طلحة ﴿قرين﴾، قال عنها: ((وأما قراءة طلحة ﴿فإما قرين﴾ فشاذة، ولست أقول إنها لحن؛ لثبات علم الرفع وهو النون في حالة الجزم، لكن تلك لغة))اهـ[١٥]

ثانيا: يذكر ترجمة القراءة بالحروف غالبا، وأحيانا نادرة يذكرها بالوزن كما في قراءة: ﴿ولا يأتل أولوا الفضل﴾ النور:٢٢، حيث ذكرها بالوزن فقال: ((يتأل: يتفعل))اهـ[١٦].

ثالثا: يبدأ بذكر أسماء القراء مرتبين حسب الزمن، ثم يذكر القراءة، ولم يخالف هذا المنهج إلا في مواضع قليلة[١٧].

٣ـ الملحوظات على منهج ابن جني في ذكره المتواتر:

باستقراء كتاب "المحتسب" واستخراج القراءات المتواترة منه سجل البحث بعض النقاط على المنهج الذي سلكه ابن جني رحمه الله تعالى فيه، وهي ملحوظات أرى أنها مهمة وجوهرية، وهي كالتالي:

١- نسب قراءة ﴿سقاية﴾ و﴿عمارة﴾ التوبة:١٩ لأبي جعفر، وهذا معناه عند أهل القراءات أنها لأبي جعفر من الروايتين؛ أعني: ابن وردان وابن جماز، وهو غير دقيق، وليس صوابا؛ لأنها رواية ابن وردان فقط.

٢- نسب قراءة ﴿فلتفرحوا﴾ يونس:٥٨ بالتاء لأبي جعفر بخلاف، وهذا غير مقروء به

لأبي جعفر، بل القراءة بالتاء هي لرويس عن يعقوب[18].

٣- نسب إلى نافع الخلاف في كلمة: ﴿بعذاب بيس﴾ الأعراف:١٦٥، وهذا الخلاف غير مقروء به له، بل هو يقرأ ﴿بيس﴾ قولا واحدا[19].

وبالرجوع إلى كتاب "السبعة" وجدت ابن مجاهد ذكر الوجه الثاني لنافع، وهو ﴿بئيس﴾ على وزن ((فعيل)) لكنه من رواية أبي قرة[20] عنه[21].

٤- في الكلمات التي لها أكثر من موضع وجدته ذكر قراءة القراء في موضعها الثاني دون الإشارة إليها في موضعها الأول في النحل وذلك نحو كلمة: ﴿نسقيكم﴾ فهي في سورتي النحل: (٦٦)، والمؤمنون: (٢١) فلم يتعرض لها في سورة النحل، وإنما تعرض لها في سورة المؤمنون، ولم يشر إلى النحل مطلقا، وهذا قد يوهم أن الخلاف إنما هو في الموضع الثاني دون الأول، والأمر ليس كذلك[22].

ولعل السبب في صنيع ابن جني هنا هو أن المصادر التي نقل عنها لعلها لم تذكر موضع النحل، أو لعل هناك سبب آخر الله تعالى أعلم به.

وقد خالف ابن جني صنيعه هذا في كلمة: ﴿ربأت﴾ حيث ذكرها في موضعيها أعني في سورة الحج: (٥)، وفصلت: (٣٩)[23].

سورة البقرة

قال أبو الفتح ابن جني رحمه الله تعالى:

١- ومن ذلك[٢٤] قراءة أبي جعفر يزيد[٢٥]: ﴿للملائكة اسجدوا﴾ البقرة:٣٤، وهذا ضعيف عندنا جدا. اهـ[٢٦]

التعليق:

قراءة أبي جعفر قراءة عشرية متواترة صحيحة الإسناد مقروء بها، ومستفيضة، وتلقتها الأمة بالقبول[٢٧].

تنبيه:

زاد ابن وردان[٢٨] عن أبي جعفر وجها آخر، وهو إشمام كسر التاء، وذلك من طريق الطيبة:

...وكسرتا الملائكت قبل اسجدوا اضمم ثق والإشمام خفت

خلفا بكل..... .....

يعني: أن المرموز له بالخاء من ((خفت)) وهو ابن وردان عن أبي جعفر قرأ بالإشمام[٢٩] بخلف، والله أعلم.

قال الإمام بن الجزري[٣٠] رحمه الله تعالى: ((والوجهان صحيحان عن ابن وردان نص عليهما غير واحد))[٣١].

قول الإمام ابن جني رحمه الله تعالى: ((وهذا ضعيف عندنا جدا)) يجاب عنه بأنه لا يلزم من ضعفه عند جماعة من النحويين أن يكون ضعيفا في الواقع؛ لأن القراءة إذا ثبتت لا يصح ردها ولا تضعيفها، فثبوتها وحده دليل قوتها ورافعا لها من مرتبة الضعف والشاذ إلى القبول والصحة، خاصة إذا جاءت موافقة للغة بعض العرب، كما هنا؛ إذ هي موافقة للغة أزد شنوءة.

ولم يكن الإمام ابن جني رحمه الله تعالى منفردا بتضعيف هذه القراءة، بل شاركه في ذلك بعض أئمة النحو كالزجاج، والفارسي، والنحاس، والزمخشري، فيرد عليهم بما سبق ذكره، وبأن وجه ضم تاء {للملائكة} هو إتباع لضمة الجيم في

{اسجدوا} مع عدم الاعتداد بالساكن، وقيل: إنه نوى الوقف على التاء ساكنة ثم حركها بالضم إتباعا لحركة الجيم، وهذا من إجراء الوصل مجرى الوقف. (٣٢)

٢- ((ومن ذلك ما رواه .... عن الأعرج (٣٣) أنه قرأ ﴿لا تضار والدة﴾ البقرة:٢٣٣، جزم، كذا قال: جزم)). اهـ

التعليق:

قراءة: ﴿لا تضار﴾ بجزم الراء قراءة عشرية متواترة قرأ بها أبو جعفر من الروايتين قولا واحدا في "الدرة"، ويخلف عن ابن جماز من طريق الطيبة (٣٤).

٣- ((ومن ذلك قراءة .... ويعقوب ﴿ومن يؤت الحكمة﴾ البقرة:٢٦٩: بكسر التاء)) (٣٥).

التعليق:

قراءة يعقوب بكسر التاء ﴿ومن يؤت﴾ قراءة متواترة صحيحة (٣٦).

يعقوب يكسر التاء من ﴿يؤت﴾ حالة الوصل، وأما حالة الوقف فيثبت الياء (٣٧).

سورة النساء

٤- ((ومن ذلك قراءة يزيد بن القعقاع: ﴿بما حفظ الله﴾ النساء:٣٤، بالنصب في اسم الله تعالى)) اهـ (٣٨)

التعليق:

قراء أبي جعفر قراءة عشرية متواترة صحيحة (٣٩).

سورة المائدة

٥- ((من ذلك قراءة أبي جعفر يزيد ﴿من اجل ذلك﴾ المائدة:٣٢، غير مهموزة والنون مكسورة)) اهـ (٤٠).

التعليق:

قراءة أبي جعفر عشرية متواترة صحيحة (٤١).

سورة الأنعام

٦- ومن ذلك قراءة:.... ويعقوب، ﴿لأبيه آزر﴾ المائدة: ٧٤[٤٢].

التعليق:

قراءة ﴿آزر﴾ برفع الراء ليعقوب قراءة متواترة صحيحة، وهي قراءة عشرية[٤٣].

٧- ((ومن ذلك قراءة .... ويعقوب ﴿فيسبُّوا الله عدوًا﴾ الأنعام: ١٠٨[٤٤]))

التعليق:

ضم العين والدال وتشديد الواو في ﴿عدوًا﴾ قراءة متواترة صحيحة عشرية ليعقوب[٤٥].

سورة الأعراف

٨- ((ومن ذلك قراءة الحسن بخلاف ﴿نُشرا﴾ الأعراف: ٥٧ بضم النون وجزم الشين[٤٦])). اهـ

التعليق:

هذه القراءة بضم النون وجزم سكون الشين في ﴿نُشرا﴾ قراءة متواترة صحيحة عن ابن عامر الشامي رحمه الله تعالى[٤٧].

٩- ((ومن ذلك قراءة أبي جعفر وشيبة، واختلف عن نافع ﴿بعذاب بيس﴾ الأعراف: ١٦٥، فعل، بلا همز، و﴿بئس﴾ وهي قراءة السلمي بخلاف[٤٨])). اهـ

التعليق:

ذكر ابن جني رحمه الله تعالى قراءتين في كلمة ﴿بئيس﴾.

الأولى: ﴿بيس﴾ بكسر الباء وياء ساكنة بعدها من غير همز، ونسبها لأبي جعفر ونافع من العشرة، وهي قراءة صحيحة متواترة قرأ بها هشام عن أبي عامر في وجه.

الثانية: ﴿بئس﴾ بكسر الباء وبعدها همزة ساكنة، ونسبه للسلمي وهي أيضا قراءة متواترة صحيحة، قرأ بها ابن عامر من السبعة، وهو الوجه الثاني لهشام[٤٩].

سورة التوبة

١٠- ومن ((ذلك قراءة .... وأبي جعفر القارئ: ﴿أجعلتم سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام﴾ التوبة: ١٩[٥٠])). اهـ

التعليق:

هذه القراءة أعني: ﴿سقاة﴾ و﴿عمرة﴾ عشرية صحيحة متواترة عن أبي جعفر بخلاف، صحت من طريق "الدرة" وهي إحدى الكلمات التي انفردت بها "الدرة" عن "الطيبة".

قال في الدرة: ((وقل عمرة معها سقاة الخلاف بن))[51].

أي: قرأ المرموز له بالباء من ((بن)) وهو ابن وردان عن أبي جعفر.

١١- ((ومن ذلك قراءة عمر بن الخطاب: ﴿من المهاجرين والأنصار﴾ [التوبة:١٠٠])). اهـ[52]

التعليق:

قراءة ﴿والأنصار﴾ بالرفع، قراءة عشرية متواترة صحيحة، قرأ بها يعقوب الحضرمي[53].

سورة يونس

١٢- ((ومن ذلك قراءة أبي جعفر .... ﴿وعد الله حقا أنه يبدؤ الخلق﴾ [يونس:٤])). اهـ[54]

التعليق:

فتح الهمزة في ﴿أنه﴾ قراءة عشرية متواترة وهي لأبي جعفر[55].

١٣- ((ومن ذلك قراءة النبي ﷺ .... وأبي جعفر ﴿فبذلك فلتفرحوا﴾ [يونس:٥٨ بالتاء])). اهـ[56]

التعليق:

قراءة ﴿فلتفرحوا﴾ بالتاء المثناة من فوق، قراءة متواترة صحيحة عن رويس عن يعقوب[57].

ملاحظة:

قول ابن جني هنا: ((وأبي جعفر بخلاف))، هذا الخلاف لا يقرأ له به، بل المقروء به لأبي جعفر قولا واحدا هو الياء ككحفص وجميع القراء غير رويس.

١٤- ((ومن ذلك قراءة .... ويعقوب، ورويت عن أبي عمرو: ﴿فأجمعوا أمركم وشركاؤكم﴾ [يونس:٧١])). اهـ[58]

التعليق

قراءة ﴿وشركاؤكم﴾ برفع الهمزة، قراءة عشرية متواترة قرأ بها يعقوب فقط[59].

ملاحظة:

قول ابن جني رحمه الله تعالى: ((ورويت عن أبي عمرو))، لا يقرأ به له، بل هو كبقية القراء غير يعقوب.

سورة هود

١٥- ((ومن ذلك: ﴿وزلفا﴾ هود: ١١٤ بضم الزاي واللام، قرأ بها أبو جعفر)). اهـ (٦٠)

التعليق:

قراءة أبي جعفر ﴿وزلفا﴾ بضم الزاي واللام قراءة متواترة صحيحة (٦١).

سورة يوسف

١٦- ((قراءة الناس ﴿أحد عشر﴾ يوسف: ٤ بفتح العين، وأسكنها أبو جعفر ونافع بخلاف)). اهـ (٦٢)

التعليق:

تسكين العين من ﴿عشر﴾ هنا قراءة عشرية متواترة، قرأ بها أبو جعفر فقط (٦٣).

قال في الطيبة: ((عين عشر في الكل سكن ثغبا))

أي: سكن العين من ﴿عشر﴾ للمرموز له بالثاء المثلثة من ((ثغبا)) وهو أبو جعفر.

١٧- ((ومن ذلك ﴿هئت لك﴾ يوسف: ٢٣ بالهمز وضم التاء، قرأ بها علي)). اهـ (٦٤)

التعليق:

قراءة: ﴿هئت لك﴾ بكسر الهاء بعدها همزة ساكنة بعدها تاء مضمومة، قراءة متواتر صحيحة، قرأ بها هشام عن ابن عامر بخلف (٦٥).

سورة الحجر

١٨- ((ومن ذلك قراءة .... ويعقوب: ﴿صراط عليٌ مستقيم﴾ الحجر: ٤١)) (٦٦).

التعليق:

هذه قراءة عشرية متواترة صحيحة قرأ بها يعقوب من العشرة ﴿عليٌ﴾ بكسر اللام ورفع الياء وتنوينها (٦٧).

سورة النحل

١٩- ((ومن ذلك قراءة أبي جعفر.... وروي عن أبي عمرو: ﴿ بشق الأنفس﴾ النحل:٧، بفتح الشين))[٦٨]. اهـ

التعليق:

قراءة فتح الشين من كلمة: ﴿بشق﴾ قراءة عشرية قرأ بها أبو جعفر فقط[٦٩].

سورة الإسراء

٢٠- ((ومن ذلك قراءة علي بن أبي طالب: ﴿أمرنا﴾ الإسراء:١٦، في وزن: عامرنا، واختلف عن ... وأبي عمرو ... وابن كثير وعاصم))[٧٠]. اهـ

التعليق:

هذه قراءة عشرية قرأ بها يعقوب الحضرمي فقط[٧١].

والخلاف المذكور عن أبي عمرو وابن كثير وعاصم لا يقرأ به لهم.

٢١- ((ومن ذلك قراءة .... وأبي عمرو بخلاف، وعاصم بخلاف ﴿بخيلك ورجلك﴾ الإسراء:٦٤، بكسر الجيم))[٧٢]. اهـ

التعليق:

قراءة كسر الجيم من كلمة: ﴿ورجلك﴾ قراءة متواترة صحيحة قرأ بها حفص[٧٣] عن عاصم[٧٤] قولا واحدا.

والخلاف غير مقروء به للمذكورين.

سورة طه

٢٢- ((ومن ذلك قراءة أبي جعفر يزيد: ﴿ولتصنع على﴾ طه:٣٩، بجزم اللام والعين))[٧٥]. اهـ

التعليق:

قراءة أبي جعفر هذه قراءة عشرية صحيحة متواترة[٧٦].

٢٣- ((ومن ذلك قراءة الحسن والثقفي ﴿تخيل﴾ طه:٦٦، بالتاء))[٧٧]. اهـ

التعليق:

قراءة ﴿تخيل﴾ بالتاء، قراءة متواترة صحيحة، قرأ بها ابن ذكوان عن ابن عامر، وروح عن يعقوب[٧٨].

٢٤- ((ومن ذلك قراءة علي وابن عباس: ﴿لنحرقنه﴾ طه:٩٧ بفتح النون وضم الراء)). اهـ [٧٩]

التعليق:

هذه القراءة قراءة صحيحة قرأ بها ابن وردان عن أبي جعفر [٨٠].

٢٥- ((ومن قراءة سهل بن شعيب [٨١] ... و﴿زهرة﴾ كل شيء في القرآن محركا)). اهـ [٨٢]

التعليق [٨٣]:

التحريك في ﴿زهرة﴾ المقصود به تحريك الهاء بالفتح ﴿زهَرة﴾، وهي قراءة صحيحة عشرية متواترة قرأ بها يعقوب [٨٤].

سورة الأنبياء

٢٦- ((ومن ذلك قراءة أبي جعفر: ﴿قل رب احكم﴾ طه:١١٢ بضم الباء، والألف ساقطة على أنه نداء مفرد)). اهـ [٨٥]

التعليق:

قراءة أبي جعفر قراءة عشرية متواترة صحيحة. [٨٦]

سورة الحج

٢٧- ((ومن ذلك قراءة أبي جعفر: ﴿وريأت﴾ الحج:٥ بالهمز، ورويت عن أبي عمرو ابن العلاء)). اهـ [٨٧]

التعليق:

قراءة أبي جعفر قراءة عشرية متواترة صحيحة. [٨٨]

وقوله: ((رويت عن أبي عمرو))، لا يقرأ به له.

٢٨- ((ومن ذلك قراءة .... يعقوب: ﴿ولؤلؤا﴾ الحج:٢٣ بالنصب)) اهـ [٨٩]

التعليق:

قراءة ﴿ولؤلؤا﴾ بالنصب قراءة متواترة صحيحة، قرأ بها نافع وأبو جعفر المدنيان، ويعقوب الحضرمي البصري، وعاصم الكوفي [٩٠].

سورة المؤمنون

٢٩- ((ومن ذلك قراءة أبي جعفر يزيد: ﴿لعبرة تسقيكم﴾ الحج:٢١)) اهـ [٩١].

التعليق:

قراءة أبي جعفر ﴿تسقيكم﴾ بالتاء المثناة من فوق قراءة عشرية متواترة صحيحة[92].

٣٠- ((ومن ذلك قراءة أبي جعفر والثقفي ﴿هيهات هيهات﴾ المؤمنون: ٣٦ بكسر التاء غير منونة))[93]. اهـ

التعليق:

قراءة أبي جعفر قراءة عشرية متواترة صحيحة[94].

سورة النور

٣١- ((ومن ذلك قراءة .... ويعقوب ﴿كبره﴾ النور: ١١ بضم الكاف))[95]. اهـ

التعليق:

قراءة يعقوب قراءة عشرية متواترة صحيحة[96].

٣٢- ((ومن ذلك قراءة .... وأبي جعفر: ﴿يتأل﴾ النور: ٢٢ يتفعل))[97]. اهـ

التعليق:

قراءة أبي جعفر عشرية متواترة صحيحة[98].

٣٣- ((ومن ذلك قراءة أبي جعفر يزيد: ﴿يذهب﴾ النور: ٤٣ بضم بالياء))[99]. اهـ

التعليق:

قراءة أبي جعفر قراءة عشرية متواترة صحيحة[100].

سورة الفرقان

٣٤- ((ومن ذلك ....وأبي جعفر: ﴿نتخذ﴾ الفرقان: ١٨ بضم النون))[101]. اهـ

التعليق:

قراءة أبي جعفر هذه قراءة عشرية متواترة صحيحة[102].

سورة الشعراء

٣٥- ((ومن ذلك قراءة .... ويعقوب: ﴿واتباعك﴾ الشعراء: ١١١))[103]. اهـ

التعليق:

قراءة يعقوب قراءة عشيرة متواترة صحيحة[104].

سورة القصص

٣٦- ((ومن ذلك قراءة .... ويعقوب: ﴿لخسف بنا﴾ القصص:٨٢)). اهـ[١٠٥]

التعليق:

قراءة ﴿لخسف﴾ بفتح الخاء والسين قراءة متواترة صحيحة، قرأ بها حفص عن عاصم، ويعقوب الحضرمي البصري[١٠٦].

سورة سبأ

٣٧- ((وقرأ ﴿ربنا باعد﴾ سبأ:١٩) .... ويعقوب)). اهـ[١٠٧]

التعليق:

قراءة يعقوب قراءة عشرية متواترة صحيحة[١٠٨].

سورة يس

٣٨- ((﴿ذكرتم﴾ يس:١٩، مضمومة الذال خفيفة الكاف، الأعمش وأبو جعفر يزيد)). اهـ[١٠٩]

التعليق:

قراءة أبي جعفر قراءة عشرية متواترة صحيحة[١١٠].

٣٩- ((ومن ذلك قراءة أبي جعفر: ﴿إن كانت إلا صيحة واحدة﴾ يس:٢٩)). اهـ[١١١]

التعليق:

قراءة أبي جعفر برفع: ﴿صيحة﴾ قراءة عشرية متواترة[١١٢].

قال في الطيبة:

أولى وأخرى صيحة واحدة ثب.....

أي: قرأ المرموز له بالثاء المثلثة من كلمة: ((ثب)) وهو أبو جعفر ﴿صيحة واحدة﴾ الأولى والأخيرة بالرفع. وقوله: ((أولى وأخرى)) لتخرج الثانية منها وهي قوله تعالى: ﴿ما ينظرون إلا صيحة واحدة﴾ (٤٩)، فلا خلاف فيها بين القراء أنها بالنصب[١١٣]. والله تعالى أعلم.

٤٠- ((ومن ذلك قراءة الحسن والأعرج: ﴿جبلا﴾ يس:٦٢، بضم الجيم والباء مشددة))[١١٤]. اهـ

التعليق:

قراءة ﴿جبلا﴾ بضم الجيم والباء وتشديد اللام، قراءة عشرية متواترة صحيحة، قرأ بها روح عن يعقوب الحضرمي البصري[١١٥].

قال في الطيبة:

....جبـــــــــــــل

في كســـر ضـــميه مـــدا نـــل واشـــددا لهم وروح.....

أي: اقرأ كلمة ﴿جبلا﴾ بكسر الجيم والباء وتشديد اللام للمرموز لهم بكلمتي ((مدا نل)) وهم نافع وأبو جعفر وعاصم، واتفق معهم في التشديد فقط روح الذي يقرأ بضم الجيم والباء.

سورة الصافات

٤١- ((ومن ذلك قراءة ابن محيصن وعكرمة بخلاف، والحسن بخلاف وأبي رجاء: ﴿وإن إلياس﴾ (١١٦) الصافات:١٢٣، بغير همز)). اهـ

التعليق:

هذه القراءة صحيحة سبعية متواترة قرأ بها ابن ذكوان عن ابن عامر (١١٧).

سورة ص

٤٢- ((ومن ذلك قراءة أبي جعفر: ﴿إن يوحى إلي إلا إنما﴾ (١١٨) ص:٧٠، بكسر الألف)). اهـ

التعليق:

قراءة أبي جعفر هذه قراءة عشرية متواترة صحيحة (١١٩).

سورة الزمر

٤٣- ((ومن ذلك قراءة أبي جعفر: ﴿يا حسرتاي﴾ (١٢٠) الزمر:٥٦، وروى ابن جماز عنه: ﴿يا حسرتاي﴾ مجزومة الياء)). اهـ

التعليق:

قراءة أبي جعفر هذه من الروايتين قراءة عشرية متواترة صحيحة (١٢١).

سورة السجدة (فصلت)

٤٤- ((ومن ذلك قراءة أبي جعفر يزيد: ﴿وربأت﴾ (١٢٢) فصلت:٣٩)). اهـ

التعليق:

مر ذكر هذه الكلمة في سورة الحج فلتراجع.

سورة الزخرف

٤٥- ((قراءة أبي جعفر يزيد: ﴿بلدة ميتا﴾ (١٢٣) الزخرف:١١، بالتشديد)). اهـ

التعليق:

قراءة أبي جعفر هذه قراءة عشرية متواترة صحيحة (١٢٤).

سورة الجاثية

٤٦- ((ومن ذلك قراءة يعقوب ﴿كل أمة تدعى﴾ الجاثية:٢٨، بفتح اللام))[١٢٥]. اهـ

التعليق:

قراءة يعقوب هذه قراءة عشرية متواترة صحيحة[١٢٦].

سورة محمد ﷺ

٤٧- ((ومن ذلك قراءة .... ويعقوب: ﴿سوّل لهم وأملي لهم﴾ محمد:٢٥، بضم الألف وسكون الياء))[١٢٧]. اهـ

التعليق:

قراءة يعقوب هذه قراءة عشرية متواترة صحيحة[١٢٨].

سورة الحجرات

٤٨- ((قرأ الضحاك ويعقوب: ﴿لا تقدموا بين يدي الله ورسوله﴾ الحجرات:١))[١٢٩].

التعليق:

قراءة يعقوب هذه قراءة عشرية متواترة صحيحة[١٣٠].

سورة الطور

٤٩- ((ومن ذلك قراءة الناس ﴿أم هم قوم طاغون﴾ الطور:٣٥))[١٣١]. اهـ

التعليق:

عبارة المؤلف رحمه الله توهم أن هذه القراءة ضمن القراءات الشاذة التي ضمنها كتابه وليست كذلك – ولذلك ذكرتها في البحث.

سورة الواقعة

٥٠- ((ومن ذلك قراءة النبي ﷺ وابن عباس ﴿فروح﴾ الواقعة:٨٩، بضم الراء))[١٣٢] اهـ

التعليق:

هذه القراءة قراءة عشرية صحيحة متواترة قرأ بها رويس عن يعقوب[١٣٣].

سورة المجادلة

٥١- ((قرأ: ﴿ما تكون من نجوى ثلاثة﴾ المجادلة:٧، بالتاء أبو جعفر وأبو حية))[١٣٤] اهـ

التعليق:

قراءة أبي جعفر ﴿تكون﴾ بالتاء للمثناة من فوق على التأنيث قراءة عشرية متواترة صحيحة[١٣٥].

سورة الحشر

٥٢- ((قرأ: ﴿كي لا تكون دولة﴾ الحشر:٧ بالتاء مرفوعة الدال والهاء أبو جعفر يزيد)) اهـ (١٣٦)

التعليق:

قراءة أبي جعفر قراءة متواترة صحيحة (١٣٧).

سورة الملك

٥٣- ((﴿وقيل هذا الذي كنتم به تدعون﴾ الملك:٢٧ ساكنة الدال، خفيفة، قرأ به .... ويعقوب)). اهـ (١٣٨)

التعليق:

قراءة يعقوب قراءة عشرية متواترة صحيحة (١٣٩).

سورة الجن

٥٤- ((ومن ذلك قراءة .... ويعقوب ﴿أن لن تقول﴾ الجن:٥)). اهـ (١٤٠)

التعليق:

قراءة يعقوب هذه قراءة عشرية متواترة صحيحة (١٤١).

سورة المدثر

٥٥- ((ومن ذلك قراءة أبي جعفر يزيد: ﴿عليها تسعة عشر﴾ المدثر:٣٠ بإسكان العين)). اهـ (١٤٢)

التعليق:

قراءة يعقوب قراءة عشرية متواترة صحيحة، سبق بيانها في سورة التوبة (١٤٣).

سورة القيامة

٥٦- ((قرأ الحسن: ﴿لأقسم﴾ القيامة:١ بغير ألف، ﴿ولا أقسم﴾ القيامة:٢ بألف)). اهـ (١٤٤)

التعليق:

قراءة حذف الألف من ﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾ قراءة صحيحة متواترة قرأ بها ابن كثير المكي بخلف عن البزي (١٤٥).

سورة المرسلات

٥٧- ((ومن ذلك قراءة أبي جعفر: ﴿وقتت﴾ المرسلات:١١ بواو، خفيفة القاف)). اهـ (١٤٦)

التعليق:

قراءة أبي جعفر قراءة عشرية متواترة صحيحة (١٤٧).

قال في الطيبة:

....همـــز أقتـــت بـــواو ذا اختلـــف

حـصن خفـا والخـف ذو خلـف خـلا .....

أي: قرأ المرموز له بالذال من ((ذا)) وهو ابن جماز عن أبي جعفر ﴿وقتت﴾ كما لفظ بها بالواو بخلاف عنه، وأن تخفيف القاف له أيضا بخلف، وللمرموز له بالخاء من ((خلا)) وهو ابن وردان بغير خلاف.

٥٨- ((ومن ذلك قراءة ابن عباس: ﴿جمالات صفر﴾ المرسلات:٣٣، بضم الجيم)) اهـ (١٤٨)

التعليق:

هذه القراءة قراءة عشرية متواترة صحيحة قرأ بها رويس عن يعقوب (١٤٩)

سورة الغاشية

٥٩- ((ومن ذلك قراءة أبي جعفر يزيد: ﴿إن إلينا إيابهم﴾ النبأ:٢٥، بالتشديد)). اهـ (١٥٠)

التعليق:

قراءة أبي جعفر هذه قراءة عشرية متواترة صحيحة (١٥١)

سورة البلد

٦٠- ((وقرأ أبو جعفر ﴿مالا لبدا﴾ البلد:٦)). اهـ (١٥٢)

التعليق:

قراءة أبي جعفر قراءة عشرية متواترة صحيحة (١٥٣)

قال في الطيبة:

..... ولبـــــــــــدا ثقـــــل ثـــــرا.....

أي: اقرأ بتثقيل بتشديد الباء من ﴿لبدا﴾ للمرموز له بالثاء من ((ثرا)) وهو أبو جعفر.

والله الموفق

الهوامش

[1] ـ هذا اللفظ من الحديث متفق عليه في غالب الروايات ثم تختلف في الزيادة عليه بألفاظ أخرى كلها مختلفة من حيث القوة ، واللفظ المذكور ممن رواه الإمام أحمد في مسنده(رقم ٦٧٩٧ج٢ص:٣٠٠طبعة الحلبي) ، ابن حبان في صحيحه (رقم ٧٣بشرح الشيخ أحمد شاكر) .وشهرة الحديث تغني عن التوسع في تخريجه في هذا المحل.

[2] ـ الحداد، الراوي عن خلف في اختياره، ضابط متقن، ثقة وفوق الثقة بدرجة (ت٢٩٢هـ). غاية النهاية: ١٥٤/١.

[3] ـ محمد بن يعقوب، إمام ضابط، قرأ على محمد بن وهب صاحب روح (ت بعد٣٢٠هـ). غاية النهاية:٢٨٢/٢.

[4] ـ أحمد بن الحسين، من كبار المؤلفين في القراءات وعلمائها(ت٣٨١هـ).غاية النهاية:٤٩/١.

[5] ـ شيخ العراق، ومسند الآفاق، ثقة، (ت ١٧٤هـ). غاية النهاية: ٥٢١/١ـ٥٢٢.

[6] ـ انظر: معرفة القراء الكبار: ٣٢٣/١ـ٣٢٤، غاية النهاية: ١٢٣/٢ـ١٢٤.

[7] ـ أحمد بن العباس، إمام القراء والقراءات ومسبع السبعة (ت٣٢٤هـ). غاية النهاية: ١٣٩/١.

[8] ـ انظر: غاية النهاية: ٢٠٦/١ـ٢٠٧.

[9] ـ انظر ترجمته في: وفيات الأعيان لابن خلكان: ٤٤٣/٣، البلغة في تراجم أئمة اللغة: ص٤٨.

[10] ـ انظر ترجمته في: معرفة القراء الكبار: ٣٣٧/١، غاية النهاية: ٣٨٥/١.

[11] ـ المحتسب: ٣٢/١.

[12] ـ المصدر السابق: ٣٣/١.

[13] ـ المصدر السابق: ٣٤/١.

[14] ـ المصدر السابق: ٣٥/١.

[15] ـ المحتسب : ٤٢/٢

[16] ـ المحتسب: ١٠٦/٢.

[17] ـ انظر: المحتسب: ١٠٢/٢، و١٠٤، و١٠٥، على سبيل المثال لا الحصر.

[18] ـ انظر: المحتسب: ٢١٣/١.

[19] ـ انظر: المحتسب: ٢٦٥/١.

[20] ـ هو: موسى بن طارق، السكسكي الزبيدي، من جلة الرواة عن نافع، سمع من الإمام أحمد وغيره. انظر. غاية النهاية: ٢١٩/٢.

[21] ـ انظر: السبعة: ٢٩٦.

[22] ـ انظر: المحتسب: ٩٠/٢.

[23] ـ انظر: المحتسب: ٢٤/٢، و٢٤٧.

[24] ـ يعني به ابن جني: ما شذ عن السبعة وغمض عن ظاهر الصنعة. اهـ المحتسب: ٣٥/١.

[25] ـ هو يزيد بن القعقاع، ثامن القراء العشرة(ت:١٣٢هـ).انظر: غاية النهاية: ٣٨٢/٢.

[26] ـ انظر: البحر المحيط: ١/ ١٥٢ ، الدر المصون: ٣٧١/١ المحتسب: ٧١/١.

[27] ـ انظر:المستنير : ٢٤/٢،غاية الاختصار:٤٠٢/٢، النشر في القراءات العشر: ٢١٠/٢.

[28] ـ هو: عيسى بن وردان، مقرئ حاذق، شارك الإمام نافع في الإسناد ، (ت١٦٠هـ تقريبا). غاية النهاية: ٦١٦/١.

[29] ـ الإشمام هنا بينه ابن الجزري بقوله: لإشمام كسرتها التاءالضم اهـ النشر: ٢١٠/١.

[30] ـ هو: محمد بن محمد بن محمد بن الجزري (٧٥١ـ٨٣٣هـ)، إمام القراء. انظر: غاية النهاية: ٢٤٧/٢.

[31] ـ النشر: ٢١٠/٢.

[32] ـ عبد الرحمن بن هرمز، أخذ عن أبي هريرة وابن عباس، وعنه نافع بن أبي نعيم. توفي سنة: ١١٧هـ غاية النهاية: ٣٨١/١.

[33] ـ المحتسب: ١٢٣/١.

[34] ـ ويلاحظ هنا أن ابن الجزري رحمه الله تعالى ذكر الخلاف في الطيبة فقط، أما في الدرة فالتسكين قولا واحدا.

وقال في النشر: ((واختلف عن أبي جعفر يعني في ﴿انصار﴾ في سكونها مخففة، فروى عيسى من طريق ابن مهران عن ابن شبيب وابن جماز من طريق الهاشمي بتخفيف الراء مع إسكانها، وكذلك ﴿ولا يضار﴾ آخر السورة، وروى ابن جماز من غير طريق الهاشمي، وعيسى من طريق ابن مهران وغيره عن ابن شبيب تشديد الراء وفتحها فيهما)) اهـ النشر: ٢٢٧/٢-٢٢٨، وانظر: غاية الاختصار: ٤٢٩/٢

[35] ـ المحتسب: ١٤٢/١.

[36] ـ انظر: النشر: ٢٣٥/٢، مفردة يعقوب للأهوازي: ٩١، مفردة يعقوب للداني: ٦٨.

[37] ـ قال ابن الجزري رحمه الله تعالى: ((قرأ يعقوب بكسر التاء، وهو على أصله في الوقف على الياء كما نص عليه غير واحد)) اهـ النشر: ٢٣٥/٢، وانظر: المستنير: ٦٧/٢

[38] ـ المحتسب: ١٨٨/١.

[39] ـ انظر: النشر: ٢٤٩/٢، الروضة للمالكي: ٦١١/٢ ـ غاية الاختصار: ٤٢٦/٢

[40] ـ المحتسب: ٢٠٩/١.

[41] ـ النشر: ٢٥٤/٢، الروضة للمالكي: ٦٢٣/٢، المستنير: ١١٨/٢

[42] ـ المحتسب: ٢٢٣/٢.

[43] ـ انظر: النشر: ٢٥٩/٢، مفردة يعقوب للأهوازي: ١٠٢، مفردة يعقوب لابن الفحام: ١٦٧

[44] ـ انظر: المحتسب: ٢٣٦/٢.

[45] ـ انظر: النشر: ٢٦١/٢، مفردة يعقوب لابن الفحام: ١٦٨، مفردة يعقوب للأهوازي: ١٠٣

[46] ـ المحتسب: ٢٥٥/١.

[47] ـ انظر: النشر: ٢٦٩/٢، التيسير: ٢٨٩، الكنز في القراءات العشر: ٤٨٢/٢

[48] ـ المحتسب: ٢٦٤/١.

[49] ـ انظر: النشر: ٢٧٢/٢-٢٧٣، التيسير: ٢٩٥، المستنير: ١٦٠/٢

[50] ـ المحتسب: ٢٨٥/١.

[51] ـ انظر: تحبير التيسير: ٣٨٨، الكفاية الكبرى: ١٨٢، الإرشاد: ٢٥١

[52] ـ المحتسب: ٣٠٠/١.

[53] ـ انظر: النشر: ٢٨٠/٢، مفردة يعقوب للأهوازي: ١١٠، التذكرة لابن غلبون: ٣٥٩/٢

[54] ـ المحتسب: ٣٠٧/١.

[55] ـ انظر: النشر: ٢٨٢/٢، الروضة للمالكي: ٦٩٦/٢، الكنز: ٥٠١/٢

[56] ـ المحتسب: ٣١٣/١.

[57] ـ انظر: النشر: ٢٨٥/٢، مفردة يعقوب لابن شريح: ١٢٠، غاية الاختصار: ٥١٦/٢

[58] ـ المحتسب: ٣١٤/١.

[59] ـ انظر: النشر: ٢٨٦/٢، مفردة يعقوب لابن الفحام: ١٨٣.

[60] ـ المحتسب: ٣٢٠/١.

[61] ـ انظر: النشر: ٢٩١/٢، الكامل: ٥٧٤

[62] ـ المحتسب: ٣٣٠/١.

[63] ـ انظر: النشر: ٣٣٩/٢، الكامل للهذلي: ٥٦٢

[64] ـ انظر: المحتسب: ٣٣٧/١.

[65] ـ انظر: النشر: ٢٩٣/٢، التيسير: ٢٢١

[66] ـ المحتسب: ٣/٢.

[67] ـ انظر: النشر: ٣٠١/٢، ، مفردة يعقوب للأهوازي: ١١٩، مفردة يعقوب لابن الفحام: ١٩٢

[68] ـ المحتسب: ٧/٢.

[69] ـ انظر: النشر: ٣٠٢/٢، غاية الاختصار: ٥٣٩/٢، الإرشاد: ٤٠١

[70] ـ المحتسب: ١٥/٢.

[71] ـ انظر: النشر: ٣٠٦/٢، مفردة يعقوب للداني: ٩٥ ، مفردة يعقوب لابن شريح: ١٢٨

[72] ـ المحتسب: ٢١/٢.

[73] ـ هو: حفص بن سليمان، الراوي عن عاصم، وصاحب الرواية المشهورة (ت١٨٠هـ). غاية النهاية: ٢٥٤/١.

[74] ـ انظر: النشر: ٣٠٨/٢، التيسير: ٢٤٣ ، التجريد : ٢٥٤

[75] ـ المحتسب: ٥١/٢.

[76] ـ النشر: ٣٢٠/٢ ، غاية الاختصار : ٥٦٨/٢ ، الكنز : ٥٥٨/٢

[77] ـ المحتسب: ٥٥/٢.

[78] ـ انظر: النشر: ٣٢١/٢، التيسير: ٣٦٢، التذكرة لابن غلبون: ٤٣٢/٢، مفردة يعقوب للأهوازي: ١٣٢

[79] ـ المحتسب: ٥٨/٢.

[80] ـ انظر: النشر: ٣٢٢/٢، الروضة للمالكي: ٧٨٨/٢، الكامل: ٥٩٩

[81] ـ الكوفي، قرأ على عاصم وغيره. غاية النهاية: ٢١٩/١.

[82] ـ المحتسب: ٨٤/١.

[83] ـ ذكر ابن جني هذه الكلمة في سورة البقرة مع كلمة: ﴿جهرة﴾ فأخرت ذكرها هنا؛ لأن تحريك الهاء من ﴿جهرة﴾ قراءة شاذة لا تدخل ضمن بحثي هذا.

[84] ـ انظر: النشر: ٣٢٢/٢، الكامل: ٥٩٩، مفردة يعقوب لابن الفحام: ٢٠٥

[85] ـ المحتسب: ٦٩/٢.

[86] ـ النشر: ٣٢٥/٢ ، الإرشاد: ٤٤٥

[87] ـ المحتسب: ٧٤/٢.

[88] ـ انظر: النشر: ٣٢٥/٢، غاية الاختصار: ٥٧٧/٢

[89] ـ المحتسب: ٧٨/٢.

[90] ـ انظر: النشر: ٣٣٦/٢، التيسير: ٣٧٢، مفردة يعقوب لابن شريح: ١٣٧، ولم يذكر الداني وابن الفحام هذه القراءة في مفردتيهما ليعقوب حسب النسخ التي وصلتنا.

[91] ـ المحتسب: ٩٠/٢.

[92] ـ انظر: النشر: ٣٠٤/٢، المستنير: ٢٤٦/٢، الروضة للمالكي: ٨٠٨/٢

[93] ـ المحتسب: ٩٠/٢.

[94] ـ انظر: النشر: ٣٢٨/٢، غاية الاختصار: ٥٨٣/٢

[95] ـ المحتسب: ١٠٤/٢.

[96] ـ انظر: النشر: ٣٣١/٢، مفردة يعقوب للداني:١٠٤

[97] ـ المحتسب: ١٠٦/٢.

[98] ـ انظر: النشر: ٣٣١/٢، الإرشاد:٤٦٠

[99] ـ المحتسب: ١١٤/٢.

[100] ـ انظر: النشر: ٣٣٢/٢، الكفاية الكبرى:٣٣٩

[101] ـ المحتسب: ١١٩/٢.

[102] ـ انظر: النشر: ٣٣٣/٢، المستنير: ٢٣٧/٢، غاية الاختصار :٥٩٢/٢

[103] ـ المحتسب: ١٣١/٢.

[104] ـ انظر: النشر: ٣٣٥/٢، مفردة يعقوب للداني:١٠٥، مفردة يعقوب لابن الفحام:٢١٤

[105] ـ انظر: المحتسب: ١٥٦/٢.

[106] ـ انظر: النشر: ٣٤٢/٢، التيسير: ٤٠٣، مفردة يعقوب للأهوازي:١٤٢

[107] ـ المحتسب: ١٨٩/٢.

[108] ـ انظر: النشر: ٣٥٠/٢، مفردة يعقوب لابن شريح:١٤٩-١٥٠

[109] ـ المحتسب: ٢٠٥/٢.

[110] ـ انظر: النشر: ٣٥٣/٢، الكامل:٦٢٥ ، الكفاية الكبرى : ٣٦٥

[111] ـ المحتسب: ٢٠٦/٢.

[112] ـ انظر: النشر: ٣٥٣/٢، الكامل:٦٢٥ ، الكفاية الكبرى : ٣٦٥

[113] ـ انظر: النشر: ٣٥٣/٢.

[114] ـ المحتسب: ٢١٦/٢

[115] ـ انظر: النشر: ٣٥٥/٢، مفردة يعقوب للأهوازي:١٥٢ ، مفردة يعقوب للداني:١١٥

[116] ـ المحتسب: ٢٣٣/٢.

[117] ـ انظر: النشر: ٣٥٧/٢، التيسير: ٤٣٣، التجريد :٢٩٦

[118] ـ المحتسب: ٢٣٤/٢.

[119] ـ انظر: النشر: ٣٦٢/٢، غاية الاختصار:٦٢٩/٢: ، الكفاية الكبرى : ٣٧١

[120] ـ المحتسب: ٢٣٧/٢.

[121] ـ انظر: النشر: ٣٦٣/٢، المستنير: ٢/ ٤١١، غاية الاختصار:٦٤١/٢:

[122] ـ المحتسب: ٢٤٧/٢.

[123] ـ المحتسب: ٢٥٣/٢.

[124] ـ انظر: النشر: ٢٧٤/٢.

[125] ـ المحتسب: ٢٦٢/٢.

[126] ـ انظر: النشر: ٣٧٢/٢، مفردة يعقوب للداني:١٢١

[127] ـ المحتسب: ٢٧٢/٢.

[128] ـ انظر: النشر: ٣٧٤/٢،مفردة يعقوب للداني:١٢٢

[129] ـ المحتسب: ٢٧٨/٢.

[130] ـ انظر: النشر: ٣٧٥/٢، مفردة يعقوب لابن الفحام:٢٤٧

[131] ـ المحتسب: ٢٩١/٢.

[132] ـ المحتسب: ٢١٠/٢.

[133] ـ انظر: النشر: ٢٨٢/٢،مفردة يعقوب لابن الفحام:٢٥٤
[134] ـ المحتسب: ٣١٥/٢.
[135] ـ انظر: النشر: ٢٨٥/٢، المستنير:٤٧٩/٢ ، الإرشاد :٥٨٦
[136] ـ المحتسب: ٣١٦/٢.
[137] ـ انظر: النشر: ٢٨٦/٢، الإرشاد: ٥٨٨، المستنير: ٤٨٢/٢
[138] ـ المحتسب: ٣٢٥/٢.
[139] ـ انظر: النشر: ٢٨٩/٢، مفردة يعقوب للأهوازي:١٧٢
[140] ـ المحتسب: ٣٣٢/٢.
[141] ـ انظر: النشر: ٢٩٢/٢، مفردة يعقوب لابن شريح : ١٧٠
[142] ـ المحتسب: ٣٣٨/٢.
[143] ـ انظر: النشر: ٢٩٩/٢.
[144] ـ المحتسب: ٣٤١/٢.
[145] ـ انظر: النشر: ٢٨٢/٢، التيسير: ٥٠٢
[146] ـ المحتسب: ٣٤٥/٢.
[147] ـ انظر: النشر: ٢٩٦/٢، الكفاية الكبرى :٣١٢، الكنز:٧٠٢/٢
[148] ـ المحتسب: ٣٤٧/٢.
[149] ـ انظر: النشر: ٢٩٧/٢، الكفاية الكبرى :٣١٣، الكنز:٧٠٢/٢
[150] ـ المحتسب: ٣٥٧/٢.
[151] ـ انظر: النشر: ٤٠٠/٢، الكامل:٦٦٠، غاية الاختصار : ٧١٥/٢
[152] ـ المحتسب: ٣٦٧/٢.
[153] ـ انظر: النشر: ٤٠١/٢، الارشاد : ٦٢٥، الكنز:٧١٧/٢

المصادر والمراجع

١- إرشاد المبتدي و تذكرة المنتهي ، لأبي العز القلانسي ، المكتبة الفيصلية

٢- التجريد لبغية المريد في القراءات ، لابن الفحام ، دار عمار الأردن

٣- التذكرة في القراءات الثمان ،لأبي الحسن طاهر بن غلبون ، تحقيق أيمن سويد

٤- التلخيص في القراءات الثمان ، لأبي معشر الطبري ، الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن

٥- تلخيص العبارات ، أبي علي الحسن بن خلف بن بليمة ، دار القبلة

٦- التيسير في القراءات السبع ، أبو عمرو الداني ، طبعة دار الكتب العلمية ، براجستر

٧- جامع البيان في القراءات ، لأبي عمرو : عثمان بن سعيد الداني ، دار الكتب العلمية – بيروت

٨- الدر المصون في علم الكتاب المكنون ، للسمين الحلبي ، دار الكتب العلمية – بيروت

٩- الروضة في القراءات الإحدى عشرة ، لأبي علي الحسن بن محمد المالكي ، دار العلوم والحكم

١٠- السبعة في القراءات ، لأبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد ،دار المعارف القاهرة

١١- سير أعلام النبلاء ، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي

١٢- العنوان في القراءات السبع ، أبو طاهر إسماعيل ، عالم الكتب بيروت

١٣- غاية الاختصار في القراءات العشر ، لأبي العلاء الهمذاني ، الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن بجدة

١٤- الغاية في القراءات العشر ، ابن مهران ، دار الشواف ، تحقيق محمد غياث

١٥- غاية النهاية في طبقات القراء ، لابن الجزري ، دار الكتب العلمية – بيروت

١٦- الكامل في القراءات الخمسين ، لأبي القاسم الهذلي ، طبعة خاصة

١٧- الكفاية الكبرى في القراءات العشر، أبو العز القلانسي ،رسالة مسجلة في الجامعة الإسلامية

١٨- الكنز في القراءات العشر ،لأبي محمد بن الوجيه ، دار الكتب العلمية ، تحقيق هناء الحمصي

١٩- المبهج في القراءات الثمان و الأربعة الزائدة عليها، سبط الخياط ، دار الحديث

٢٠- المحتسب في القراءات الشاذة ، لابن جني ، الرسالة

٢١- المستنير في القراءات العشر ، لابن سوار ، لابن سوار ، الإمارات العربية

٢٢- معرفة القراء الكبار ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، مؤسسة الرسالة – بيروت

٢٣- مفردة يعقوب ، لأبي علي الحسن الأهوازي ، دار ابن كثير الأردن

٢٤- مفردة يعقوب لأبي عمرو الداني

٢٥- مفردة يعقوب لابن شريح

٢٦- مفردة يعقوب لابن الفحام

٢٧- النشر في القراءات العشر ، ابن الجزري ، دمشق سوريا ، تحقيق محمد دهمان

الوجيز في القراءات الثمان ، لأبي علي الحسن بن علي الأهوازي ، دار غرب ، بيروت

كشـــف النقـــاب
عن مضاعفة العذاب في آيات الكتاب

د. خالـــد بن عـــون العنـــزي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك
في جامعة طيبة بالمدينة المنورة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــــــــة

الحمدلله رب العالمين، الرحيم الرؤوف، المنتقم الجبار، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وسيد ولد آدم أجمعين، أرسله الله رحمة للعالمين، وبعثه بين يدي الساعة بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا.

أما بعد: فإن الله ﷻ هو العدل الذي لا يظلم مثقال ذرة، يجازي المسيء على قدر إساءته ولا يظلم ربك أحدا.

وقد أخبر سبحانه في كتابه العظيم أن هناك ذنوبا ضاعف عليها العذاب، لزيادة جرمها، وتعدي ضررها، وزاد العقوبة على فاعليها؛ لأنهم صاروا دعاة إلى الضلالة، وأئمة في الغواية.

وقد أردت في هذا البحث جمع تلك الآيات التي دلت على مضاعفة العذاب، وترتيبها في مباحث حسب دلالاتها، وتفسيرها تفسيرا موضوعيا، ودراسة ما تضمنته من معان و مسائل وفوائد.

وقد أسميت هذا البحث: «**كشف النقاب عن مضاعفة العذاب في آيات الكتاب**».

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في عدة جوانب، من أهمها:

١- بيان عدل المولى ﷻ في جزائه للسيئة بمثلها، ومضاعفة عقوبة بعض السيئات؛ لعظم جرمها وتعدي ضررها.

٢- بيان الأعمال التي خصصت بمضاعفة العذاب إظهارا لخطرها وفداحة جرمها.

٣- التحذير من الأعمال التي يضاعف عليها العذاب، لعظم ذنبها وضررها على الغير.

خطة البحث

يتكون هذا البحث من مقدمة، وتمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة، وفهارس.

على النحو التالي:

المقدمة:

وتتضمن:

أهمية البحث.

خطة البحث.

التمهيد:

في بيان معنى: «مضاعفة العذاب».

ويشتمل على ما يلي:

أولا: تعريف المضاعفة.

ثانيا: تعريف العذاب.

المبحث الأول: مضاعفة العذاب لمن جمع بين الشرك والقتل والزنا.

المبحث الثاني: مضاعفة العذاب على الأتباع والمتبوعين.

المبحث الثالث: مضاعفة العذاب للمنافقين.

المبحث الرابع: مضاعفة العذاب للصادين عن سبيل الله.

المبحث الخامس: الوعيد بمضاعفة العذاب.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الوعيد بمضاعفة العذاب للنبي ﷺ.

المطلب الثاني: الوعيد بمضاعفة العذاب لأمهات المؤمنين رضوان الله عليهن.

الخاتمة:

وتتضمن ما يلي:

نتائج البحث.

التوصيات.

الفهارس:

وتتضمن:

فهرس المراجع.

فهرس الموضوعات.

هذا والله أسأل أن ينفع بهذا البحث، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

التمهيد

بيان معنى مضاعفة العذاب

أولا: تعريف المضاعفة:

تعريف الضعف:

الضعف لغة: بكسر الضاد: يستعمل اسم مصدر ضعف وضاعف، فهو اسم التضعيف والمضاعفة، ويستعمل اسما بمعنى الشيء المضاعف.

وأما تعريف الضعف اصطلاحا: فهو مثل قدرين متساويين، ومماثل عدد ما.

قال الرازي: «الضعف عبارة عن أن يضم إلى الشيء مثله».

والمضاعفة: هي الزيادة على أصل الشيء حتى يبلغ مثلين أو أكثر[1].

ثانيا: تعريف العذاب:

العذاب: هو النكال والعقوبة، وكل مؤلم للنفس إذا كان جزاء على سوء.

واشتقاقه من عذب الشيء إذا استمر وجرى، فالألم يستمر في النفس، ويتغلغل فيها.

قال العسكري: العذاب أخص من الألم، وذلك أن العذاب هو الألم المستمر يكون مستمرا وغير مستمر ألا ترى أن قرصة البعوض ألم وليس بعذاب، فإن استمر ذلك قلت: عذبني البعوض الليلة، فكل عذاب ألم وليس كل ألم عذابا، وأصل الكلمة «الاستمرار» ومنه يقال: «ماء عذب» لاستمرائه في الحلق.

وقيل: العذاب أصله عند العرب الضرب، ثم استعمل في عقوبة مؤلمة، واستعير للأمور الشاقة كالسفر وغيره.

وكل عذاب في القرآن فهو التعذيب إلا: (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) النور:٢، فإن المراد الضرب[2].

المبحث الأول

مضاعفة العذاب لمن جمع بين الشرك والقتل والزنا

ذكر الله جل وعلا في أخر سورة الفرقان صفات أناس سماهم سبحانه «عباد الرحمن»[٣] وكان من تلك الصفات الجليلة والمناقب العظيمة التي وصف الله بها عباد الرحمن هؤلاء أنهم يجتنبون ثلاث صفات منكرة وفاسدة، وهي:

١- الشرك بالله تعالى.

٢- قتل النفس المحرمة بغير حق.

٣- الزنا.

قال تعالى: (والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون) الفرقان: ٦٨ .

وإنها -والله- لصفات منكرة وأفعال قبيحة وذنوب عظيمة، ولذلك يقول عبدالله بن مسعود ﷺ ((قلت يا رسول الله أيُ الذنب أكبر؟ قال: أن تدعو لله نداً وهو خلقك. قلت: ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك خيفة أن يطعم معك. قلت: ثم أي؟ قال: أن تزاني حليلة جارك)) فأنزل الله تعالى تصديقها: (والذين لا يدعون مع الله إلها آخر) الفرقان: ٦٨ إلى (أثاما) الفرقان: ٦٨[٤].

قال القرطبي: «دلت هذه الآية على أنه ليس بعد الكفر أعظم من قتل النفس بغير الحق، ثم الزنى ولهذا ثبت في حد الزنى القتل لمن كان محصنا أو أقصى الجلد لمن كان غير محصن»[٥].

- مضاعفة العذاب لمن جمع بين هذه الخصال:

لما أثنى الله جل وعلا على هؤلاء العباد لمجافاتهم لهذه الأفعال والخصال المنكرة ذكر سبحانه جزاء وعقوبة من جمع بين هذه الخصال وهو مضاعفة العذاب له، وخلوده فيه، فقال -عز من قائل-

(ومن يفعل ذلك يلق أثاما* يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا) الفرقان:٦٨-٦٩.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فهذا الوعيد بتمامه على الثلاث، ولكل عمل قسط

منه، فلو أشرك ولم يقتل ولم يزن كان عذابه دون ذلك، ولو زنى وقتل ولم يشرك كان له من هذا العذاب نصيب»[٦].

قال ابن عاشور: «والإشارة بـ (ذلك) إلى ما ذكر من الكبائر، والمتبادر من الإشارة أنها إلى المجموع، أي: من يفعل مجموع الثلاث، ويعلم أن جزاء من يفعل بعضها ويترك بعضا عدا الإشراك دون جزاء من يفعل جميعها، وأن البعض أيضا مراتب، وليس المراد من يفعل كل واحدة مما ذكر يلق آثاما لأن لقيّ الآثام بيّن هنا بمضاعفة العذاب والخلود فيه»[٧].

هذا ما يلقاه من جمع بين هذه الثلاث الموبقات: «الأثام» أي: العقوبة المفسرة بمضاعفة العذاب.

قال ابن جرير: «ومن يأت هذه الأفعال، فدعا مع الله إلها آخر، وقتل النفس التي حرم الله بغير الحق، وزنى (يلق أثاما) يقول: يلق من عقاب الله عقوبة ونكالا كما وصفه ربنا جل ثناؤه، وهو أنه (ومن يفعل ذلك يلق أثاما ۞ يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا) الفرقان: ٦٩»[٨].

- معنى مضاعفة العذاب:

قال ابن عاشور: « فأما مضاعفة العذاب فهي أن يعذب على كل جرم مما ذكر عذابا مناسبا ولا يكتفى بالعذاب الأكبر عن أكبر الجرائم وهو الشرك، تنبيها على أن الشرك لا ينجي صاحبه من تبعة ما يقارفه من الجرائم والمفاسد، وذلك لأن دعوة الإسلام للناس جاءت بالإقلاع عن الشرك وعن المفاسد كلها»[٩].

وسبب مضاعفة العذاب: هو جمعه بين الشرك بالله وقتل النفس والزنا؛ فيضاعف العذاب لما تضاعفت الذنوب والآثام.

قال الرازي: «سبب تضعيف العذاب أن المشرك إذا ارتكب المعاصي مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصي جميعا، فتضاعف العقوبة لمضاعفة المعاقب عليه»(١٠).

- الخلود في العذاب المضاعف:

ومما يزيد هذا العذاب المضاعف إيلاما رغم ألمه، وشدة رغم شدته هو أنه عذاب خالد لا ينتهي ونكال دائم لا ينقطع، كما قال تعالى: (ويخلد فيه) الفرقان: ٦٩، أي: في ذلك العذاب المضاعف (مهانا) الفرقان: ٦٩ ذليلا مستحقرا جامعا للعذاب الجسماني والروحاني، وهكذا اجتمع على هذا الفاجر العذاب المضاعف، والخلود فيه، فياله من خزي

ومهانة، وأعظم به من ذل وندامة[11].

والوعيد بالخلود يشمل من ارتكب هذه الموبقات الثلاث جميعها، والوعيد بالعذاب على كل فعلة من هذه الأفعال المنكرة، ولكن الخلود لا يشمل القاتل والزاني، إذ أن صاحب المعصية مهما كبرت لا يخلد في النار وإن دخلها بل مآله إلى الجنة إن لم يعف الله عنه لأول وهلة كما هي عقيدة أهل السنة والجماعة.

قال السعدي: « فالوعيد بالخلود لمن فعلها كلها ثابت لا شك فيه، وكذا لمن أشرك بالله، وكذلك الوعيد بالعذاب الشديد على كل واحد من هذه الثلاثة لكونها إما شرك وإما من أكبر الكبائر، وأما خلود القاتل والزاني في العذاب فإنه لا يتناوله الخلود، لأنه قد دلت النصوص القرآنية والسنة النبوية أن جميع المؤمنين سيخرجون من النار، ولا يخلد فيها مؤمن، ولو فعل من المعاصي ما فعل، ونص الله تعالى على هذه الثلاثة لأنها من أكبر الكبائر، فالشرك فيه فساد الأديان، والقتل فيه فساد الأبدان، والزنا فيه فساد الأعراض»[12].

- استثناء التائبين:

إن الله الرحيم الرحمن سبحانه لا يزال يفتح للمجرمين والمفسدين باب التوبة والأوبة، فهو الذي سبقت رحمته غضبه، وهو الغفار التواب، وهاهو جل وعلا يفتح باب الرجعة والتوبة لمن توعدهم بالعذاب المضاعف آنفا، فيقول جل شأنه:

(إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ۞ ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا) الفرقان: ٧٠ – ٧١.

وإبدال السيئات حسنات: أنه يمحوها بالتوبة، ويثبت مكانها الحسنات: الإيمان، والطاعة، والتقوى.

وقيل: يبدلهم بالشرك إيمانا، وبقتل المسلمين: قتل المشركين، وبالزنا: عفة وإحصانا[13].

أخرج مسلم في صحيحه عن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ((يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه، فيعرض عليه صغارها وينحى عنه كبارها، فيقال: عملت يوم كذا وكذا وكذا، وهو مقر ليس ينكر، وهو مشفق من الكبار أن تجيء، فيقال: أعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة))[14].

وورد عن ابن عباس قال: ((لما نزلت: **(والذين لا يدعون مع الله إلها آخر)** الفرقان: ٦٨ ،

اشتد ذلك على المسلمين فقالوا: ما منا أحد إلا أشرك، وقتل، وزنى، فأنزل الله (يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم) (الزمر:٥٣)

يقول لهؤلاء الذين أصابوا هذا في الشرك، ثم نزلت بعده: (إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما) (الفرقان:٧٠) فأبدلهم الله بالكفر الإسلام، وبالمعصية الطاعة، وبالانكسار المعرفة، وبالجهالة العلم))[١٥].

ثم قال تعالى (ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا) (الفرقان: ٧١) وفي هذا إشارة إلى التوبة الصادقة، أي: ومن تاب عن المعاصي تركا تاما، وداوم على العمل الصالح ليستدرك ما فاته منه، فإنه في هذه الحالة يكون قد تاب ورجع إلى الله تعالى رجوعا صحيحا مقبولا منه سبحانه بحيث يترتب عليه محو العقاب وإثبات الثواب[١٦].

*****

المبحث الثاني

مضاعفة العذاب على الأتباع والمتبوعين

في هذا المبحث سنتعرف على حال طبقتين من الناس، طبقة ضالة في نفسها مضلة لغيرها، وطبقة ضالة بسبب اتباعها الطبقة الأولى وانخداعها بها. الأولى هم سادة الضلال ورؤوس الغواية، والثانية هم التابعون لأولئك الأسياد، المقلدون لأولئك الرؤساء.

وكل من الأتباع والمتبوعين يجتمعون يوم القيامة في صعيد ومكان واحد، عندها يعرف التابعون المقلدون مقدار الغبن الذي وقعوا فيه، والخسارة التي أصابتهم، والمنقلب الفاضح والمخزي الذي آلوا إليه بسبب إضلال متبوعيهم وسادتهم ورؤسائهم لهم، فلا يجدوا حيلة – حينئذ – بعد أن أيقنوا أن العذاب نازل بهم إلا دعاء الله جل وعلا على من كان سببا في ضلالهم بأن يضاعف لهم العذاب، ضعف لضلالهم، وضعف لإضلالهم.

يصور الله تعالى هذا المشهد العجيب، ويصف حال هؤلاء الأتباع والمتبوعين وهم في النار، فيقول تعالى: **(قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا ادارکوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار)** الأعراف: ٣٨.

أي: قال الله تعالى لأولئك المكذبين: ادخلوا في ضمن أمم من الجن والإنس قد سبقتكم في الكفر، وشاركتكم في الضلالة، كلما دخلت أمة من أمم الكفر لعنت أختها في الدين والملة، فالأمة المتبوعة تلعن الأمة التابعة؛ لأنها زادتها ضلالا، والأمة التابعة تلعن الأمة المتبوعة؛ لأنها كانت سببا في عذابها، حتى إذا ما اجتمعوا جميعا في النار الرؤساء والأتباع، والأغنياء والفقراء، قالت أخراهم دخولا أو منزلة وهم الأتباع لأولاهم دخولا أو منزلة وهم الزعماء والمتبوعون: **(ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار)** الأعراف: ٣٨.[١٧]

قال ابن كثير: «يقول تعالى مخبرا عما يقوله لهؤلاء المشركين به، المفترين عليه المكذبين بآياته: **(ادخلوا في أمم)** الأعراف:٣٨؛ أي: من أشكالكم وعلى صفاتكم، **(قد خلت من قبلكم)** الأعراف:٣٨؛ أي: من الأمم السالفة الكافرة، **(من الجن والإنس في النار)** الأعراف:٣٨؛ يحتمل أن يكون بدلا من قوله: **(في أمم)** الأعراف: ٣٨ ، ويحتمل أن يكون **(في أمم)** الأعراف:٣٨؛ أي: مع أمم. وقوله: **(كلما دخلت أمة لعنت أختها)**

(الأعراف: ٣٨) كما قال الخليل، عليه السلام: (ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا) (العنكبوت:٢٥) الآية، وقوله تعالى: (إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب ۞ وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار) (البقرة: ١٦٦-١٦٧).

وقوله تعالى: (حتى إذا ادارکوا فيها جميعا) (الأعراف:٣٨) أي: اجتمعوا فيها كلهم، (قالت أخراهم لأولاهم) (الأعراف:٣٨) أي: أخراهم دخولا -وهم الأتباع- لأولاهم -وهم المتبوعون- لأنهم أشد جرما من أتباعهم، فدخلوا قبلهم، فيشكوهم الأتباع إلى الله يوم القيامة؛ لأنهم هم الذين أضلوهم عن سواء السبيل، فيقولون: (ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار) (الأعراف:٣٨) أي: أضعف عليهم العقوبة»[18].

۞۞۞۞۞

ومثل هذا الموقف يذكره الله عز وجل في آيات أخرى عن هؤلاء التابعين، حيث حكى الله عنهم أنهم يقولون:

(وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ۞ ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا) (الأحزاب: ٦٧ – ٦٨).

إنه تصريح من هؤلاء التابعين بإخلاصهم في طاعة أسيادهم وزعمائهم وكبرائهم تلك الطاعة التي أردتهم فأصبحوا عميانا من الضلالة والغواية، حتى إذا اجتمعوا في يوم المعاد وعرفوا مصيرهم المؤلم حنقوا على أولئك المتبعين، فأخذوا يدعون عليهم بالعذاب المضاعف ضعفين، ضعف لضلالهم، وضعف لإضلالهم.

قال الزمخشري: «يعترفون، ويستغيثون، ويتمنون، ولا ينفعهم شيء من ذلك»[19].

وقال ابن عاشور: «وجملة (ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا) (الأحزاب:٦٧–٦٨) خبر مستعمل في الشكاية والتذمر، وهو تمهيد لطلب الانتصاف من سادتهم وكبرائهم. فالمقصود الإفضاء إلى جملة (ربنا آتهم ضعفين من العذاب) (الأحزاب: ٦٧ – ٦٨)، ومقصودهم من هذا الخبر أيضا الاعتذار والتنصل من تبعة ضلالهم بأنهم مغرورون مخدوعون، وهذا الاعتذار مردود عليهم بما أنطقهم الله به من الحقيقة إذ قالوا: (ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا) (الأحزاب:٦٧– ٦٨) فيتجه عليهم أن يقال لهم: لماذا

أطعتموهم حتى يغروكم؟.

وهذا شأن الدهماء أن يسودوا عليهم من يعجبون بأضغاث أحلامه، ويغرون بمعسول كلامه، ويسيرون على وقع أقدامه، حتى إذا اجتنوا ثمار أكمامه، وذاقوا مرارة طعمه وحرارة أوامه، عادوا عليه باللائمة وهم الأحقاء بملامه»[٢٠].

وقال أبوالسعود: «وتصدير الدعاء بالنداء مكررا للمبالغة في الجؤار واستدعاء الإجابة»[٢١].

يعني – رحمه الله – تكرار الدعاء في قولهم (ربنا) أي: يا ربنا».

*****

وثمة موضع ثالث يذكره القرآن بين هؤلاء الأتباع والمتبوعين وهو قوله تعالى:

(هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم إنهم صالوا النار ۞ قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار ۞ قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار) ص: ٥٩ – ٦١.

هذا مشهد الأتباع والمتبوعين وهم في النار يشتم بعضهم بعضا، ويلعن بعضهم بعضا،حيث يقول السادة المتبوعون بعضهم لبعض وهم يرون الأتباع يلقون معهم في النار، أو تقول لهم الملائكة تقريعا وتوبيخا:

(هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم إنهم صالوا النار) ص: ٥٩: يقولون هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار، أي: دخل النار في صحبتكم ، والاقتحام: ركوب الشدة والدخول فيها.

فيرد عليهم الأتباع: (بل أنتم لا مرحبا بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار) ص: ٦٠

أي: أنتم قدمتم العذاب أو الصلي لنا وأوقعتمونا فيه بتقديم ما يؤدي إليه من العقائد الزائغة والأعمال السيئة وتزيينها في أعيننا وإغرائنا عليها لا أننا باشرناها من تلقاء أنفسنا فبئس المقر جهنم[٢٢].

وهنا دعا الأتباع بمضاعفة العذاب على رؤسائهم وسادتهم الذين كانوا سببا في كفرهم ودخولهم النار قائلين: (قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار) ص: ٦١.

أي: يا ربنا ضاعف لهم العذاب مرتين لأنهم هم الذين قدموه لنا يوم كانوا يدعوننا إلى الشرك والباطل ويحضوننا عليه.

قال ابن جرير: «هذا قول الفوج المقتحم على الطاغين، وهم كانوا أتباع الطاغين في الدنيا، يقول جل ثناؤه: وقال الأتباع: (ربنا من قدم لنا هذا) يعنون: من قدم لهم في الدنيا بدعائهم إلى العمل الذي يوجب لهم النار التي وردوها، وسكنى المنزل الذي سكنوه منها، ويعنون بقولهم: (هذا): العذاب الذي وردناه (فزده عذابا ضعفا في النار) يقولون: فأضعف له العذاب في النار على العذاب الذي هو فيه فيها، وهذا أيضا من دعاء الأتباع للمتبوعين»[٢٣].

******

الجواب الإلهي بمضاعفة العذاب للكل:

بعد هذا الخصام بين الأتباع والمتبوعين، وبعد تلك الدعوات التي أطلقها -بحنق وغيظ- الأتباع على رؤسائهم بمضاعفة الله العذاب لهم حيث قالوا: (**ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار**) الأعراف: ٣٨ ، (**ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كثيرا**) الأحزاب: ٦٨ ، (**ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار**) ص:٦١ .

بعد ذلك جاء الجواب من الملك الديان، وقضي الأمر ممن بيده الأمر -سبحانه، وجاء الحكم العدل ممن لايظلم الناس شيئا، وهو أن العذاب يضاعف للكل، ويستحقه الأتباع والمتبوعون، السادة والمسودون، الرؤساء والمرؤوسون، الكبراء والصغار.

قال تعالى: (**قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون**) الأعراف:٣٨.

أما السادة والرؤساء والكبراء المتبوعون فيضاعف لهم العذاب لضلالهم وإضلالهم، وأما المرؤوسون الأتباع فيضاعف لهم العذاب لضلالهم، وتقليدهم لسادتهم، وطاعتهم العمياء لهم.

ولكنكم لا تعلمون ما لكم وما لكل فريق من العذاب[٢٤].

******

المبحث الثالث

مضاعفة العذاب للمنافقين

المنافقون هم أخطر أعداء الإسلام على الإطلاق، وخطورتهم تكمن في إظهارهم للإسلام وإبطانهم الكفر، وكيدهم للمسلمين واستثمارهم أدنى فرصة تلوح لهم للكيد لهذا الدين، والانقضاض على أهل الإسلام.

ومن أجل ذلك حذر منهم القرآن العظيم أيما تحذير في آيات كثيرة، وسماهم العدو في قوله تعالى في سورة المنافقين (هم العدو فاحذرهم) المنافقون: ٤، وجاءت الآيات القرآنية تفضح مخططاتهم، وتكشف كيدهم، وتجلي مكرهم، بل خصصت سور قرآنية لكشفهم وفضحهم ومنها سورة التوبة التي تسمى بالفاضحة، لأنها فضحت القوم، وأبانت حقيقتهم، وأوضحت خطرهم على الإسلام والمسلمين.

ومن الآيات الفاضحة في تلك السورة الفاضحة قول الله تعالى (وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم) التوبة: ١٠١.

حيث ذكر الله عز وجل في هذه الآية صنفين من المنافقين:

الأول: الأعراب الذين حول المدينة، وأن فيهم منافقين، وكان هؤلاء الأعراب قد أسلموا واتبعوا النبي ﷺ وأطاعوه مثل قبائل جهينة، وأسلم، وأشجع، وغفار، وغيرها، فأعلم الله نبيه ﷺ أن في هؤلاء منافقين، لئلا يغتر بكل من يظهر له الطاعة والمودة.

والصنف الثاني: هم المنافقون من أهل المدينة، حيث أعلم الله نبيه أن المدينة وإن كان أهلها من الأنصار قد آمنوا به ونصروه وأطاعوه إلا أن فيهم بقية مردوا على النفاق، أي: مرنوا عليه، واستمروا فيه ولم يتوبوا منه، بل ثبتوا عليه فهو متأصل فيهم، وهم عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه[٢٥].

قال ابن عطية في معنى «مردوا»: « والظاهر من معنى اللفظ أن التمرد في الشئ أو المرود عليه إنما هو اللجاج والاستهتار به والعتو على الزاجر وركوب الرأس في ذلك، وهو مستعمل في الشر لا في الخير، ومن ذلك قولهم: مارد ومريد»[٢٦].

استئثار الله عز وجل بعلمه بهؤلاء المنافقين:

دل قوله تعالى **(لا تعلمهم نحن نعلمهم)** [التوبة:١٠١] على أن هؤلاء العصبة من المنافقين قد استأثر الله عز وجل بعلمهم ولم يطلع عليهم رسوله ﷺ كما أطلعه على كثير من المنافقين، وإنما أعلمه بوجودهم على الإجمال لئلا يغتر بهم المسلمون[٢٧].

وقيل: إن هذه الآية كقوله تعالى **(لا تعلمونهم الله يعلمهم)** [الأنفال: ٦٠] والمعنى: أنهم تمردوا في حرفة النفاق، فصاروا لها حاذقين حتى بلغ الأمر بسبب إتقانهم لأساليب النفاق إلى خفاء ذلك على النبي ﷺ[٢٨].

قال الأمين الشنقيطي: « وذكر الله تعالى نظير ذلك عن نوح في قوله عنه **(قال وما علمي بما كانوا يعملون)** [الشعراء:١١٢] وذكر نظيره عن شعيب عليهم كلهم صلوات الله وسلامه في قوله: **(بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ)** [هود: ٨٦]. »[٢٩].

مضاعفة العذاب لهؤلاء المنافقين:

عاقب الله هؤلاء المنافقين على نفاقهم بمضاعفة العذاب لهم فقال تعالى: **(سنعذبهم مرتين ثم يردون)** [التوبة:١٠١] أي: في الآخرة **(إلى عذاب عظيم)** [التوبة:١٠١] حيث يقيمون في الدرك الأسفل من النار كما قال الله تعالى: **(إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار)** [النساء: ١٤٥].

هذا وقد ذكر عدد من المفسرين وجوها عديدة في تفسير تعذيبهم مرتين:

فقيل: الأمراض في الدنيا، والعذاب في الآخرة. ونسب هذا القول إلى ابن عباس رضي الله عنهما.

وقيل: الفضيحة في الدنيا، وعذاب القبر، ونسب هذا إلى أنس بن مالك ﷺ.

وقيل: في الدنيا بالقتل والسبي، وعذاب القبر، ونسب هذا القول إلى مجاهد.

وقيل: بأخذ الزكاة من أموالهم، وعذاب القبر، ونسب هذا إلى الحسن البصري.

وقيل: هو ما يدخل عليهم من غيظ الإسلام ودخولهم فيه من غير حسنة، ثم عذاب القبر. ونسب هذا إلى محمد بن إسحاق.

وقيل: أحد العذابين ضرب الملائكة الوجوه والأدبار، والآخر عند البعث.

وقيل غير ذلك من الوجوه[٣٠].

والظاهر أن المقصود من تعذيبهم مرتين في الآية هو مضاعفة العذاب لهم.

قال القرطبي بعد أن أورد عددا من الأقوال السابقة: « والغرض من الآية اتباع العذاب، أو تضعيف العذاب عليهم»[٣١].

وقال أبو السعود: « ولعل تكرير عذابهم لما فيهم من الكفر المشفوع بالنفاق، أو النفاق المؤكد بالتمرد فيه، ويجوز أن يكون المراد بالمرتين مجرد التكثير كما في قوله تعالى (ثم ارجع البصر كرتين) الملك: ٤؛ أي: كرة بعد كرة»[٣٢].

وقال ابن عاشور: « والظاهر عندي أن العدد مستعمل لمجرد قصد التكرير المفيد للتأكيد، كقوله تعالى (ثم ارجع البصر كرتين) الملك:٤؛ أي: تأمل تأملا متكررا، ومنه قول العرب: لبيك وسعديك، فاسم التثنية نائب مناب إعادة اللفظ، والمعنى: سنعذبهم عذابا شديدا متكررا مضاعفا، كقوله تعالى (يضاعف لها العذاب ضعفين) الأحزاب:٣٠، وهذا التكرر تختلف أعداده باختلاف أحوال المنافقين واختلاف أزمان عذابهم»[٣٣].

******

المبحث الرابع

مضاعفة العذاب للصادين عن سبيل الله

الذين يصدون الناس عن سبيل الله، ولا يكتفون بضلالهم في أنفسهم بل يدعون غيرهم إلى الضلالة والغواية. هؤلاء زاد الله عقوبتهم وضاعف عذابهم لما تضاعف ضلالهم وزاد إجرامهم وتعدى ضررهم.

وفيهم يقول الله تعالى:

(ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين ۞ الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون ۞ أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض وما كان لهم من دون الله من أولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون ۞ أولئك الذين خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ۞ لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون) هود: ١٨ - ٢٢.

يبين الله تعالى في هذه الآيات أن أشد الظلم وأعظمه، وأظلم الظالمين وأطغاهم هم الذين يفترون الكذب على الله، ولا يكتفون بضلالهم في أنفسهم ، بل يسعون في إضلال غيرهم وصدهم عن سبيل الهدى ، فهم قد جمعوا بين ضلالهم في أنفسهم وإضلالهم لغيرهم[٣٤].

وقد بين الله ﷻ مصير هؤلاء الظلمة عندما يعرضون على الله يوم القيامة بقوله: (أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين) هود: ١٨.

إنه موقف الذل والهوان والخزي، والفضيحة العظيمة.

وجملة: (ألا لعنة الله على الظالمين) من بقية قول الأشهاد.

قال ابن عاشور: « وافتتاحها بحرف التنبيه يناسب مقام التشهير. والعَبْز مستعمل في الدعاء خزيا وتحقيرا ».

والأشهاد: جمع شاهد، أو جمع شهيد.

والمراد بهم على الراجح جميع أهل الموقف من الملائكة الذين كانوا يسجلون عليهم أقوالهم وأعمالهم، ومن الأنبياء والمؤمنين[٣٥].

قال الرازي: «ثم إنه تعالى بين وعيد هؤلاء بقوله: (أولئك يعرضون على ربهم) هود: ١٨، إلى آخر الآية، وما وصفهم بذلك لأنهم مختصون بذلك العرض؛ لأن العرض عام في كل العباد كما قال: (وعرضوا على ربك صفا) الكهف: ٤٨، وإنما أراد به أنهم يعرضون فيفتضحون بأن يقول الأشهاد عند عرضهم هؤلاء الذين كذبوا على ربهم فحصل لهم من الخزي والنكال ما لا مزيد عليه»[٣٦].

وقال ابن عاشور: «والمقصود من إعلان هذه الصفة التشهير والخزي لا إثبات كذبهم؛ لأن إثبات ذلك حاصل في صحف أعمالهم، ولذلك لم يسند العرض إلى أعمالهم وأسند إلى ذواتهم في قوله: (أولئك يعرضون على ربهم) هود: ١٨».

وقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إن الله يدني المؤمن حتى يضع عليه كنفه ويستره من الناس ويقرره بذنوبه ويقول له: أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا فيقول: أي رب أعرف. حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه قد هلك قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، ثم يعطى كتاب حسناته. وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين) هود: ١٨))[٣٧].

وبعد أن وصف أولئك القوم بالظلم عموما أبان هنا عن أوصافهم التي صاروا بها ظالمين، فقال تعالى: (الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون) هود: ١٩:

الصفة الأولى: كونهم صادين عن سبيل الله مانعين عن متابعة الحق، وسبيل الله هي سبيل الرسل التي دعوا الناس إليها، فصد عنها هؤلاء الظالمون، وصدوا غيرهم، فصاروا أئمة يدعون إلى النار.

والصفة الثانية: سعيهم في إلقاء الشبهات، وتمويج الدلائل المستقيمة، واجتهادهم في ميل هذه السبيل وتشييعها لتصير عند الناس غير مستقيمة، فيصير الحق لديهم قبيحا، والباطل حسنا.

والصفة الثالثة: كونهم كافرين بالبعث والدار الآخرة[٣٨].

قال أبو الليث: «يصرفون الناس عن دين الإسلام ويطلبون بملة الإسلام زيغا، وينكرون البعث»[٣٩].

ثم بين الله تعالى قدر هؤلاء الظالمين وحقارتهم وأن أمرهم ليس معجزا لله، فلو شاء لأخذهم بالعذاب في الدنيا، ولن يجدوا لهم من أمر الله وليا ولا نصيرا.

(أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض وما كان لهم من دون الله من أولياء) (هود :٢٠)

قال الرازي: «ومعنى معجزين في الأرض: أي: لا يمكنهم أن يهربوا من عذابنا، فإن هرب العبد من عذاب الله محال؛ لأنه سبحانه وتعالى قادر على جميع الممكنات، ولا تتفاوت قدرته بالبعد والقرب والقوة والضعف. والمقصود أن قوله: (أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض) دل على أنهم لا قدرة لهم على الفرار. وقوله: (وما كان لهم من دون الله من أولياء) هو أن أحدا لا يقدر على تخليصهم من ذلك العذاب، فجمع تعالى بين ما يرجع إليهم وبين ما يرجع إلى غيرهم وبين بذلك انقطاع حيلهم في الخلاص من عذاب الدنيا والآخرة »[٤٠].

مضاعفة العذاب لهؤلاء الظالمين:

بعد أن بين الله ﷻ عظم الجرم الذي اقترفه هؤلاء، وأوصافهم المنكرة التي اتصفوا بها: وضلالهم في أنفسهم وإضلالهم لغيرهم، ذكر الجزاء المناسب لتلك الأفعال الشنيعة ألا وهو مضاعفة العذاب وزيادة العقاب جزاء على ضلالهم وإضلالهم. فهم لم يكونوا ضالين في أنفسهم بل كانوا داعين إلى إضلال غيرهم، ولذلك وصفوا بأنهم: (الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا) (هود: ١٩)[٤١].

قال تعالى: (يضاعف لهم العذاب) (هود :٢٠)

قال الرازي: «والأصوب أن يقال: إنهم مع ضلالهم الشديد، سعوا في الإضلال ومنع الناس عن الدين الحق، فلهذا المعنى حصل هذا التضعيف عليهم »[٤٢].

وقال الأمين الشنقيطي: «بين تعالى في هذه الآية الكريمة: أن الكفار الذين يصدون الناس عن سبيل الله ويبغونها عوجا يضاعف لهم العذاب يوم القيامة؛ لأنهم يعذبون على ضلالهم، ويعذبون أيضا على إضلالهم غيرهم، كما أوضحه تعالى بقوله: (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون) (النحل:٨٨)[٤٣]. وبين في موضع آخر أن العذاب يضاعف للأتباع والمتبوعين، وهو قوله في الأعراف: (حتى إذا ادارکوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون)[٤٤] (الأعراف:٣٨)[٤٥].

وقوله تعالى (ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون) (هود:٢٠) معناه: أنهم لا يستطيعون أن يسمعوا الحق سماع منتفع، ولا أن يبصروه إبصار مهتد؛ لاشتغالهم بالكفر الذي كانوا عليه مقيمين عن استعمال جوارحهم في طاعة الله تعالى، وقد كانت لهم أسماع وأبصار.

وهذا إختيار ابن جرير الطبري ونقله عن ابن عباس وقتادة[٤٦].

ويدل لهذا قوله تعالى: (وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون) الأحقاف: ٢٦.

وقيل : إن عدم الاستطاعة المذكور في الآية إنما هو للختم الذي ختم الله على قلوبهم وأسماعهم، والغشاوة التي جعل على أبصارهم.

وساق الأمين الشنقيطي أقوالا أخرى، وقال بعد أن ذكر الأقوال: وقد قدمنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك: أن الآية الكريمة قد تكون فيها أقوال، وكلها يشهد له قرآن فتذكر الجميع، والعلم عند الله تعالى[٤٧].

خسارة الصادين عن سبيل الله:

نسب الله ﷻ إلى هؤلاء الظالمين الضالين المضلين الخسار والبوار، فقال تعالى: (أولئك الذين خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ۞ لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون) هود: ٢١-٢٢.

والمعنى: أنهم لما باعوا الدين بالدنيا فقد خسروا، لأنهم أعطوا الشريف، ورضوا بأخذ الخسيس، وهذا عين الخسران في الدنيا ثم في الآخرة، فهذا الخسيس يضيع ويهلك ولا يبقى منه أثر، وهو المراد بقوله: وضل عنهم ما كانوا يفترون.

و (لاجرم) بمنزلة «لابد ولا محالة»، ثم كثر استعمالها حتى صارت بمنزلة حقا[٤٨].

قال الزمخشري: «اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله، فكان خسرانهم في تجارتهم مالا خسران أعظم منه، وهو أنهم (خسروا أنفسهم وضل عنهم) وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو (ما كانوا يفترون) من الآلهة وشفاعتها (لا جرم) فسر في مكان آخر (هم الأخسرون) لا ترى أحدا أبين خسرانا منهم»[٤٩].

وقال ابن عطية: «حصر الخسار فيهم بل جعل لهم منه أشده لشدة حسرتهم وحرمانهم وما يعانون من المشقة والعذاب نستجير بالله من حالهم»[٥٠].

وقال الله تعالى: (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون) النحل: ٨٨.

لقد كفروا وكذبوا بآيات الله، وحاربوا رسله، وصدوا الناس عن سبيل الله، وصاروا دعاة إلى الضلال؛ فاستحقوا مضاعفة العذاب، كما تضاعف جرمهم، وكما أفسدوا في أرض الله[٥١].

قال الزمخشري: «الذين كفروا في أنفسهم، وحملوا غيرهم على الكفر: يضاعف الله عقابهم كما ضاعفوا كفرهم»[٥٢].

وقال الرازي: «وقوله: (زدناهم عذابا فوق العذاب) النحل: ٨٨، فالمعنى: أنهم زادوا على كفرهم صد غيرهم عن الإيمان، فهم في الحقيقة ازدادوا كفرا على كفر، فلما جرم يزيدهم الله تعالى عذابا على عذاب، وأيضا أتباعهم إنما اقتدوا بهم في الكفر، فوجب أن يحصل لهم مثل عقاب أتباعهم لقوله تعالى: (وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم) العنكبوت: ١٣، ولقوله عليه السلام: ((من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة))[٥٣].

ثم قال تعالى: (بما كانوا يفسدون) أي: هذه الزيادة من العذاب إنما حصلت معللة بذلك الصد، وهذا يدل على أن من دعا غيره إلى الكفر والضلال فقد عظم عذابه، فكذلك إذا دعا إلى الدين واليقين، فقد عظم قدره عند الله تعالى والله أعلم[٥٤].

وفي الآية دليل على تفاوت الكفار في عذابهم، كما يتفاوت المؤمنون في منازلهم في الجنة ودرجاتهم، كما قال تعالى: (لكل ضعف ولكن لا تعلمون) الأعراف: ٣٨[٥٥].

وخلاصة ذلك: أنهم يعذبون عذابين: عذابا على الكفر، وعذابا على الإضلال وصد الناس عن اتباع الحق.

******

المبحث الخامس

الوعيد بمضاعفة العذاب

المطلب الأول

الوعيد بمضاعفة العذاب للنبي ﷺ

قال تعالى مخاطبا نبيه ﷺ:

(وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلا ۞ ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا ۞ إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا) الإسراء: ٧٣ – ٧٥.

يخبر تعالى في هذه الآيات الكريمات عن عصمته وتثبيته وتأييده لرسوله ﷺ، وحمايته له من شر الأشرار وكيد الفجار، وأنه تعالى هو المتولي أمره ونصره، فلا يكله إلى أحد من خلقه، بل هو وليه وحافظه وناصره ومظهر دينه ولو كره الكافرون.

هذا وقد وردت عدة أقوال في سبب نزول الآيات السابقة وما هو الأمر الذي كاد أن يفتن به النبي ﷺ؟

فقيل: هو الإلمام بالآلهة، لأن المشركين دعوه إلى ذلك، فهم به رسول الله ﷺ، وروي في ذلك حديث مرسل عن سعيد بن جبير.

وقيل: إنما كان ذلك أن رسول الله ﷺ هم أن ينظر قوما بإسلامهم إلى مدة سألوه الإنظار إليها وهم ثقيف، وروي في ذلك حديث عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقيل: هو قول أكابر قريش للنبي ﷺ: اطرد عنا هؤلاء الموالي حتى نجلس معك ونسمع منك فهم بذلك حتى نهي عنه.

والمرويات في هذا كلها لاتسلم من ضعف ومقال[٥٦].

قال ابن جرير: «والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن نبيه ﷺ، أن المشركين كادوا أن يفتنوه عما أوحاه الله إليه ليعمل بغيره، وذلك هو الافتراء على الله، وجائز أن يكون ذلك كان ما ذكر عنهم من ذكر أنهم دعوه أن يمس آلهتهم، ويلم بها، وجائز أن يكون كان ذلك ما ذكر عن ابن عباس من أمر ثقيف، ومسألتهم إياه ما سألوه مما ذكرنا، وجائز أن يكون غير ذلك، ولا بيان في الكتاب ولا في خبر يقطع العذر أي ذلك كان، والاختلاف فيه موجود على ما ذكرنا، فلا شيء فيه

أصوب من الإيمان بظاهره، حتى يأتي خبر يجب التسليم له ببيان ما عني بذلك منه»[٥٧].

وعلى هذا فمعنى الآيات: أي: إن الشأن أنهم قاربوا أن يفتنوك أي: يخدعوك فاتنين لك (عن الذي أوحينا) من أوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا (لتفتري علينا غيره) لتتقول علينا غير الذي أوحينا إليك (وإذا لاتخذوك خليلا) أي: لو اتبعت أهواءهم لكنت لهم حبيبا وصفيا[٥٨].

قال الشنقيطي: «ومعنى الآية الكريمة: أن الكفار كادوا يفتنونه أي: قاربوا ذلك، ومعنى يفتنونك: يزلونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره مما لم نوحه إليك.

قال بعض أهل العلم: قاربوا ذلك في ظنهم لا فيما نفس الأمر.

وقيل: معنى ذلك أنه خطر في قلبه ﷺ أن يوافقهم في بعض ما أحبوا ليجرهم إلى الإسلام لشدة حرصه على إسلامهم.

وبين في موضع آخر: أنهم طلبوا منه الإتيان بغير ما أوحي إليه، وأنه امتنع أشد الامتناع وقال لهم: إنه لا يمكنه أن يأتي بشيء من تلقاء نفسه، بل يتبع ما أوحى إليه ربه، وذلك في قوله: (قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إليّ إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم) يونس:١٥[٥٩].

ثم يمتن الله عز وجل على نبيه ﷺ بالتثبيت أمام تلك المحاولات الفاتنة فيقول: (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا) (الإسراء:٧٤)

أي: (ولولا أن ثبتناك) على الحق بعصمتنا إياك (لقد كدت تركن إليهم) أي: تميل إليهم (شيئا قليلا) أي: ركونا قليلا[٦٠].

قال ابن عاشور: « وهذه منة أخرى ومقام آخر من مقام رسول الله تجاه المشركين. ويجوز أن يكون من تكملة ما قبله فيكون الركون إليهم ركونا فيما سألوه منه على نحو ما ساقه المفسرون من الأخبار المتقدمة، و «لولا» حرف امتناع لوجود، أي: يقتضي امتناعا لوجود، أي: يقتضي امتناع جوابه لوجود شرطه، أي: بسبب وجود شرطه. والتثبيت: جعل الشيء ثابتا، أي متمكنا من مكانه غير مقلقل ولا مقلوع، وهو مستعار للبقاء على حاله غير متغير، والمراد تثبيت فهمه ورأيه، فالمعنى: ولولا أن ثبتنا رأيك فأقررناه على ما كان عليه في معاملة المشركين لقاربت أن تركن إليهم»[٦١].

ويتضح من الآية غاية الوضوح براءة نبينا ﷺ من مقاربة الركون إلى الكفار، فضلا عن نفس الركون.

قال ابن عباس: «كان رسول الله ﷺ معصوما، ولكن هذا تعريف للأمة، لئلا يركن أحد منهم إلى المشركين في شئ من أحكام الله وشرائعه»[٦٢].

قال الشنقيطي: «هذه الآية الكريمة أوضحت غاية الإيضاح براءة نبينا ﷺ من مقاربة الركون إلى الكفار، فضلا عن نفس الركون. لأن (ولولا) حرف امتناع لوجود. فمقاربة الركون منعتها (ولولا) الامتناعيه لوجود التثبيت من الله جل وعلا لأكرم خلقه ﷺ، فصح يقينا انتفاء مقاربة الركون فضلا عن الركون نفسه، وهذه الآية تبين ما قبلها، وأنه لم يقارب الركون إليهم البتة؛ لأن قوله: (لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا) أي: قاربت تركن إليهم هو عين الممنوع بـ(ولولا) الامتناعية كما ترى، ومعنى(تركن إليهم): تميل إليهم»[٦٣].

الوعيد بالمضاعفة:

لما ذكر الله منته وفضله على نبيه ومصطفاه محمد ﷺ بالثبات أمام ما كان الكفار يريدون استمالته إليه، وعصمته من الوقوع في براثن فتنتهم، ذكر سبحانه - هنا - ما كان سيترتب على الركون إليهم لو حصل منه أدنى ركنة إليهم فقال تعالى (إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات) (الإسراء:٧٥) أي: لضاعفنا عليك العذاب في الدنيا وضاعفنا عليك العذاب في الأخرة، وعذبناك مثلي عذاب الحياة في الدنيا ومثلي عذاب الممات في الأخرة.

قال ابن عباس: « قوله (إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات) (الإسراء: ٧٥) يعني: ضعف عذاب الدنيا والآخرة »[٦٤].

وقال بعض المفسرين: المراد بضعف عذاب الممات: العذاب المضاعف في القبر والمراد بضعف الحياة: العذاب المضاعف في الآخرة بعد حياة البعث[٦٥].

قال الشنقيطي: «والآية تشمل الجميع »[٦٦].

والسبب في تضعيف العذاب أن الخطأ يعظم بمقدار عظم صاحبه، ويصغر بمقدار صغره، والرسول ﷺ هو أعظم الخلق على الإطلاق، لذا توعده الله - تعالى - بمضاعفة العذاب لو ركن إلى المشركين أدنى ركون، ورحم الله القائل:

وكبائر الرجل الصغير صغائر وصغائر الرجل الكبير كبائر[٦٧]

قال الرازي: «السبب في تضعيف هذا العذاب أن أقسام نعم الله تعالى في حق الأنبياء عليهم السلام أكثر فكانت ذنوبهم أعظم فكانت العقوبة المستحقة عليها أكثر ونظيره قوله تعالى: (يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين) الأحزاب: ١٣٠»[٦٨].

وقال الزمخشري: « وفي ذكر الكيدودة وتعليلها مع اتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف في الدارين دليل بيّن على أن القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شأن فاعله وارتفاع منزلته »[٦٩].

وختم الله عز وجل الآية بقوله: (ثم لا تجد لك علينا نصيرا) الإسراء: ٧٥: أي: ناصرا ينقذك مما يحل بك من العذاب، ولكن الله تعالى عصمك من أسباب الشر، ومن البشر فثبتك وهداك الصراط المستقيم، ولم تركن إليهم بوجه من الوجوه، فله عليك أتم نعمة وأبلغ منحة[٧٠].

******

المطلب الثاني

الوعيد بمضاعفة العذاب لأمهات المؤمنين رضوان الله عليهن

لقد أكرم الله زوجات النبي ﷺ ورفع منزلتهن -رضوان الله عليهن أجمعين- عندما شرفهن بالاقتران به وأعلى قدرهن بوصفهن بأمهات المؤمنين حيث قال تعالى (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم) الأحزاب:٦؛ وصرح القرآن العظيم بهذا الشرف عندما ذكر بأن هؤلاء النسوة لسن كبقية النساء فقال تعالى (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء) الأحزاب:٣٢[٧١].

وأمر الله رسوله ﷺ أن يخيرهن بين الحياة الدنيا وزينتها من لذيذ الطعام والشراب وجميل الثياب وحلي الزينة ووافر ذلك كله ويطلقهن، أو يردن رضا الله ورسوله والجنة في الآخرة فقال تعالى:

(يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا ❁ وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما) الأحزاب:٢٨- ٢٩.

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: ((لما أمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه بدأ بي، فقال: إني ذاكر لك أمرا فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك. قالت: وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه. قالت: ثم قال: إن الله جل ثناؤه قال (يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا ﴿ وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما) (الأحزاب: ٢٨ – ٢٩) قالت: فقلت: ففي أي هذا أستأمر أبوي، فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة. قالت: ثم فعل أزواج النبي ﷺ مثل ما فعلت))[٧٢].

قال ابن كثير: « هذا أمر من الله لرسوله، صلوات الله وسلامه عليه بأن يخير نساءه بين أن يفارقهن، فيذهبن إلى غيره ممن يحصل لهن عنده الحياة الدنيا وزينتها، وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال، ولهن عند الله في ذلك الثواب الجزيل، فاخترن رضي الله عنهن وأرضاهن الله ورسوله والدار الآخرة، فجمع الله لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الأخرة »[٧٣].

ولما اخترن رضوان الله عليهن الباقي على الفاني اخترن الله وسوله والدار الآخرة، كافأهن الله عز وجل بمنع النبي ﷺ من أن يتزوج بعد هؤلاء التسعة اللاتي اخترنه إكراما لهن وتقديرا؛ فقال تعالى: (لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا) (الأحزاب: ٥٢).

قال ابن كثير: «ذكر غير واحد من العلماء كابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، وابن زيد، وابن جرير، وغيرهم أن هذه الآية نزلت مجازاة لأزواج النبي ﷺ ورضا عنهن على حسن صنيعهن في اختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة، لما خيرهن رسول الله ﷺ كما تقدم في الآية، فلما اخترن رسول الله ﷺ، كان جزاؤهن أن الله قصره عليهن، وحرم عليه أن يتزوج بغيرهن، أو يستبدل بهن أزواجا غيرهن ولو أعجبه حسنهن إلا الإماء والسراري فلا حجر عليه فيهن، ثم إنه تعالى رفع عنه الحجر في ذلك ونسخ حكم هذه الآية، وأباح له التزوج، ولكن لم يقع منه بعد ذلك تزوج لتكون المنة للرسول ﷺ عليهن»[٧٤].

الوعيد بالمضاعفة:

من أجل المحافظة على هذه المكانة السامقة لهؤلاء النسوة العظيمات زوجات

النبي ﷺ، واستمرارا لذلك الشرف الذي حظين به من رب العباد، وحتى لا تخدش هذه المكانة بما يغض من قدرها ويخل ولو بشيء يسير من مكانتها، خاطبهن الله جل وعلا قائلا:

(يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا) الأحزاب:٣٠

وحتى في هذا الخطاب التحذيري ينوه القرآن بشأنهن ومنزلتهن بقوله (يا نساء النبي).

قال الألوسي: «قوله (يا نساء النبي) تلوين للخطاب وتوجيه له إليهن لإظهار الاعتناء بنصحهن، وندائهن ههنا وفيما بعد بالإضافة إليه عليه الصلاة والسلام لأنها التي يدور عليها ما يرد عليهن من الأحكام، واعتبار كونهن نساء في الموضعين أبلغ من اعتبار كونهن أزواجا كما لا يخفى على المتأمل»[٧٥].

وقال ابن عاشور: «ناداهن بوصف «نساء النبي» ليعلمن أن ما سيلقى إليهن خبر يناسب علو أقدارهن»[٧٦].

والفاحشة: المعصية، قال تعالى: (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن) الأعراف: ٣٣، وكلما وردت الفاحشة في القرآن نكرة فهي المعصية وإذا وردت معرفة فهي الزنا ونحوه.

والمبينة: بصيغة اسم الفاعل مبالغة في بيان كونها فاحشة ووضوحه حتى كأنها تبين نفسها.

ومعنى مضاعفة العذاب: أنه يكون ضعف عذاب أمثال تلك المعصية إذا صدرت من غيرهن، وأريد: عذاب الآخرة[٧٧].

اختلاف المفسرين في المراد بالفاحشة هنا:

اختلف المفسرون في ذلك على قولين:

- القول الأول: أن المراد بالفاحشة النشوز وسوء الخلق. وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما.

- والقول الثاني: أن المراد بالفاحشة هنا المعاصي.

قال ابن كثير: «وعلى كل تقدير فهو شرط، والشرط لا يقتضي الوقوع كقوله تعالى: (ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك) الزمر: ٦٥ ».

وكقوله: (ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) الأنعام: ٨٨ ، (قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) الزخرف: ٨١، (لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار) الزمر: ٤»[٧٨].

الرد على من فسر الفاحشة هنا بالزنا:

القول بأن المراد بالفاحشة هنا الزنا قول مردود، إذ أن الله عز وجل عصم نساء الأنبياء عليهم السلام وعلى رأسهم إمامهم محمد ﷺ من الوقوع في الزنا، ثم إن الفاحشة وصفت هنا بأنها مبينة، والزنا مما يتستر به.

قال الزمخشري: «الفاحشة: السيئة البليغة في القبح وهي الكبيرة، والمبينة: الظاهرة فحشها، والمراد كل ما اقترفن من الكبائر، وقيل: هي عصيانهن رسول الله ﷺ ونشوزهن، وطلبهن منه ما يشق عليه أو ما يضيق به ذرعه ويغتم لأجله وقيل: الزنا، والله عاصم رسوله من ذلك»[٧٩].

وقال ابن عطية: «وقال قوم: « الفاحشة» إذا وردت معرفة فهي الزنا واللواط، وإذا وردت منكرة فهي سائر المعاصي وكل ما يستفحش، وإذا وردت موصوفة بالبيان فهي عقوق الزوج وفساد عشرته، ولذلك يصفها بالبيان إذ لا يمكن سترها، والزنا وغيره هو مما يتستر به ولا يكون مبينا»[٨٠].

وفسر أبوحيان الفاحشة بالكبيرة من المعاصي، قال: «ولا يتوهم أنها الزنا، لعصمة رسول الله ﷺ، من ذلك، ولأنه وصفها بالتبيين والزنا مما يتستر به، وينبغي أن تحمل الفاحشة على عقوق الزوج وفساد عشرته»[٨١].

سبب مضاعفة العذاب:

لما كان لنساء النبي ﷺ تلك المكانة السامية التي تبوأنها، والمنزلة العلية التي تربعن على عرشها ناسب أن تضاعف لهن العقوبة لو افترض وقوع معصية منهن، وتلك تبعة المكان الكريم الذي هن فيه، كيف لا؟ وهن أزواج رسول الله ﷺ وأمهات المؤمنين، وهذه الصفة وتلك كلتاهما ترتبان عليهن واجبات ثقيلة، وتعصمانهن كذلك من مقارفة الفاحشة. فإذا فرض وقارفت واحدة منهن فاحشة مبينة واضحة لاخفاء فيها، كانت مستحقة لضعفين من العذاب.

وهكذا كلما عظمت مكانة الشخص وعلت كان الذنب منه أعظم، والخطيئة

أشد، فالعالم ليس كالجاهل، والحر ليس كالعبد، والنساء اللاتي يمثلن عرض رسول الله ﷺ لسن كغيرهن.

روي عن زين العابدين رحمه الله أنه قال له رجل: إنكم أهل بيت مغفور لكم فغضب وقال: ((نحن أحرى أن يجري فينا ما أجرى الله تعالى في أزواج النبي ﷺ من أن نكون كما تقول، إنا نرى لمحسننا ضعفين من الأجر ولمسيئتنا ضعفين من العذاب وقرأ هذه الآية والتي تليها))[٨٢].

قال الزمخشري: «وإنما ضوعف عذابهن لأن ما قبح من سائر النساء كان أقبح منهن وأقبح؛ لأن زيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل والمرتبة وزيادة النعمة على العاصي من المعصي، وليس لأحد من النساء مثل فضل نساء النبي ﷺ ولا على أحد منهن مثل ما لله عليهن من النعمة، والجزاء يتبع الفعل، وكون الجزاء عقابا يتبع كون الفعل قبيحا، فمتى ازداد قبحا، ازداد عقابه شدة، ولذلك كان ذم العقلاء للعاصي العالم أشد منه للعاصي الجاهل؛ لأن المعصية من العالم أقبح، ولذلك فضل حد الأحرار على حد العبيد، حتى أن أبا حنيفة وأصحابه لا يرون الرجم على الكافر»[٨٣].

فضل أمهات المؤمنين من خلال الآية:

دلت الآية الكريمة على فضل أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن، ولولا منزلتهن العظيمة بين نساء العالمين لما حذرن من مضاعفة العذاب، إذ العذاب لايضاعف إلا لمن علت منزلته فكان الذنب منه أعظم لما كانت مكانته أعظم كما سبق بيانه آنفا.

قال مقاتل: «وتضعيف عقوبتهن على المعصية لشرفهن كتضعيف عقوبة الحرة على الأمة، وتضعيف ثوابهن لرفع منزلتهن؛ وفيه إشارة إلى أنهن أشرف نساء العالمين»[٨٤].

وختم الله عز وجل الآية بقوله: (وكان ذلك على الله يسيرا) [الأحزاب:٣٠] أي: لا يمنعه من التضعيف كونهن نساء النبي عليه الصلاة والسلام بل يدعوه إليه لمراعاة حقه، وهذا إيذان بأن كونهن نساء النبي ﷺ ليس بمغن عنهن شيئا، وكيف يغني عنهن وهو سبب مضاعفة العذاب[٨٥].

الخاتمة

أولا: نتائج البحث:

في نهاية هذا البحث «كشف النقاب عن مضاعفة العذاب في آيات الكتاب» يمكن الخلوص إلى النتائج التالية:

١- هناك ذنوب ضوعف عليها وعلى مقترفيها العذاب والعقاب، وسبب المضاعفة هو زيادة جرمها، وتعدي ضررها، حيث لم يكتف فاعلوها بضلالهم في أنفسهم بل دعوا غيرهم إلى تلك الضلالة، فصار عليهم وزرهم ووزر من اتبعهم، وضاعف الله عليهم العذاب.

٢- يضاعف العذاب لمن جمع بين الشرك والقتل العمد للنفس المحرمة والزنا، ونص الله تعالى على هذه الكبائر الثلاثة لأنها من أكبر الكبائر، فالشرك فيه فساد الأديان، والقتل فيه فساد الأبدان، والزنا فيه فساد الأعراض.

٣- يضاعف العذاب للسادة والرؤساء المتبوعين لضلالهم وإضلالهم، وللمرؤوسين الأتباع لضلالهم وتقليدهم وطاعتهم العمياء لأسيادهم.

٤- المنافقون هم ممن يضاعف لهم العذاب يوم القيامة، لخطورتهم التي تكمن في إظهارهم الإسلام وإبطانهم الكفر، وكيدهم للمسلمين، ولذلك هم ألد أعداء الإسلام على الإطلاق.

٥- صد الناس عن سبيل الله والسعي في إضلالهم، والاجتهاد في إمالتهم عن الهدى والنور، وتزيين الباطل لهم، كل ذلك مما يضاعف على فاعليه العذاب، وتزاد عليهم العقوبة بسببه، وذلك لأنهم جمعوا بين ضلالهم في أنفسهم وإضلالهم لغيرهم.

٦- وعيد الله عز وجل لنبيه وخليله ومصطفاه وأشرف خلقه محمد ﷺ بالعذاب دليل على علو مكانته وعظم مقداره، إذ أن الخطأ يعظم بمقدار عظم صاحبه ويصغر بمقدار صغره، والرسول ﷺ هو أعظم الخلق على الإطلاق، لذا توعده الله تعالى بمضاعفة العذاب لو ركن إلى المشركين أدنى ركون.

٧- وعيد الله عز وجل بالعذاب لنساء نبيه ﷺ ورضي الله عنهن دليل على المكانة

السامية التي تبوأنها، والمنزلة العلية التي تربعن على عرشها، وذلك الوعيد تبعة المكان الكريم الذي هن فيه، فهن أزواج رسول الله ﷺ وأمهات المؤمنين.

ثانيا: التوصيات:

إن من أهم ما يوصى به في خاتمة هذا البحث في نظري أمرين:

١) تذكير الناس بالأعمال التي يضاعف الله عليها العذاب ويزيد بسببها العقوبة من خلال تفسير الآيات الدالة على مضاعفة العذاب وبيان معانيها ودلالاتها وتحذير الناس من تلك الأعمال والخصال.

٢) إجراء مزيد من الدراسات والبحوث حول الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي دلت على مضاعفة العذاب.

الهوامش

(١) انظر: تفسير الرازي (١٨/٢١)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢٠٤/١)، ولسان العرب لابن منظور (٢٠٥/٩)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٢٩٢/٢٢).

(٢) انظر: الكليات للكفوي (ص ٥٩٧)، ومجمل اللغة لابن فارس (ص ٦٥٧)، والصحاح للجوهري (١٧٨/١)، والتوقيف على مهمات التعاريف (ص ٢٣٩)، والمعجم الوسيط (٥٨٩/٢).

(٣) الآية (٣٦) وما بعدها.

(٤) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه (١٦٢٦/٤) رقم (٤٢٠٧) كتاب التفسير، باب قوله تعالى {فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون} وفي (١٧٨٤/٤) رقم (٤٤٨٢) كتاب التفسير، باب قوله {والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما} الفرقان: ٦٨، وفي (٢٣٣٦/٥) رقم (٥٦٥٥) كتاب الأدب، باب قتل الولد خشية أن يأكل معه، وفي (٢٥١٧/٦) رقم (٦٤٦٨) كتاب الديات، وقول الله تعالى {ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم} النساء: ٩٣، وفي (٢٧٣٤/٦) رقم (٧٠٨٢) كتاب التوحيد، باب ما ذكر في خلق أفعال العباد وأكسابهم، وفي (٢٧٣٩/٦) رقم (٧٠٩٤) كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى {يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته} المائدة: ٦٧، وأخرجه مسلم في صحيحه (٩٠/١) رقم (٨٦) كتاب الإيمان، باب كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها عنده.

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٧٦/١٢).

(٦) الإيمان لابن تيمية (٦٢/١).

(٧) التحرير والتنوير (٢٤/١٩).

(٨) تفسير الطبري (٤٠/١٩).

(٩) التحرير والتنوير (٢٤/١٩).

(١٠) تفسير الرازي (٩٧/٢٤)، وانظر: الكشاف للزمخشري (٤٠٠/٤)، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل (٥٧٢/١٤).

(١١) انظر: تفسير أبي السعود (٢٢٠/٦)، وروح المعاني للألوسي (٤٨/١٩).

(١٢) تفسير السعدي (٥٨٧/١)، وانظر: العواصم من القواصم لابن الوزير (٧٢/٩).

(١٣) انظر: تفسير الطبري (٤٦/١٩)، وبحر العلوم للسمرقندي (٥٤٦/٢)، وتفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٣٦٨/٣)، وطريق الهجرتين لابن القيم (٤٠٣/١).

(١٤) أخرجه مسلم في صحيحه (٧٧/١) رقم (١٩٠) كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، وأخرجه كذلك: وكيع في الزهد (٤١٦/١)، وهناد بن السري في الزهد (١٥٥/١) رقم (٢١١)، وأبو عوانة في مسنده (١٤٦/١) رقم (٤٣٥/٤٢٤).

(١٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢٧٨/٦) ونسبه إلى ابن مردويه.

(١٦) انظر: الكشاف للزمخشري (٢٩٥/٣)، وتفسير الرازي (٤٨٥/٢٤).

(١٧) انظر: تفسير الطبري (٤١٦/١٢).

(١٨) تفسير القرآن العظيم (٢١٣/٢).

(١٩) الكشاف (٥٧٢/٣).

(٢٠) التحرير والتنوير (١١٨/٢٢).

(٢١) تفسير أبي السعود (١١٧/٧).

(٢٢) انظر: الكشاف للزمخشري (١٠٢/٤)، وتفسير أبي السعود (٢٢٣/٧).

(٢٣) تفسير الطبري (١٨٠/٢٣).

(٢٤) انظر: تفسير البغوي (١٩١/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (١١٨/٢)، وتفسير البيضاوي (١٩/٣)، ونظم الدرر للبقاعي (٢٩٨/٧).

(٢٥) انظر: تفسير الطبري (٤٤٠/١٤)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (١٩/١١).

(٢٦) المحرر الوجيز (٧٥/٣).

(٢٧) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٠/١١)

(٢٨) انظر: تفسير الرازي (١٢١/١٦).

(٢٩) أضواء البيان (١٤٨/٢).

(٣٠) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٤١/٨)، وتفسير الرازي (١٢١/١٦).

(٣١) الجامع لأحكام القرآن (٢٤١/٨).

(٣٢) تفسير أبي السعود (٩٨/٤).

(٣٣) التحرير والتنوير (٢٠/١١).

(٣٤) انظر: معالم التنزيل للبغوي (٤٤٢/٢)، وتفسير السعدي (٣٧٩/١).

(٣٥) انظر: معالم التنزيل للبغوي (٤٣٣/٢)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٣٣/١٢)، والتفسير المنير للزحيلي (٤٥/١٢).

(٣٦) تفسير الرازي (٣٢٢/١٧).

(٣٧) صحيح البخاري (٨٦٢/٢) رقم (٢٣٠٩) كتاب المظالم، باب قول الله تعالى (**ألا لعنة الله على الظالمين**)، وصحيح مسلم (١٠٥/٨) رقم (٧١١٥) كتاب التوبة، باب النجوى.

(٣٨) انظر : تفسير الرازي (٣٣٢/١٧)، وتفسير السعدي (٣٧٩/١).

(٣٩) بحر العلوم (١٤٤/٢).

(٤٠) تفسير الرازي (٣٣٣/١٧).

(٤١) انظر: بحر العلوم لأبي الليث (١٤٤/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (٤٣٢/٢).

(٤٢) تفسير الرازي (٣٣٣/١٧).

(٤٣) سيأتي تفسيرها قريبا.

(٤٤) سبق تفسيرها في المبحث الثالث.

(٤٥) أضواء البيان (١٧٥/٢).

(٤٦) تفسير الطبري (٢٨٦/١٥).

(٤٧) انظر: أضواء البيان للشنقيطي (١٧٦/٢).

(٤٨) انظر: الرازي (٣٢٣/١٧).

(٤٩) الكشاف (٣٨٦/٢).

(٥٠) المحرر (١٦١/٢).

(٥١) انظر: تفسير السعدي (٤٤٦/١).

(٥٢) الكشاف (٦٣٧/٢).

(٥٣) تفسير الرازي (٢٥٧/٢٠)، والحديث أخرجه أحمد في المسند (٢٨٧/٥) والبزار في مسنده (٣٦٦/٧)، والحاكم في المستدرك (٥١٦/٢)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٧/١) وقال: رجاله رجال الصحيح إلا أباعبيدة بن حذيفة، وقد وثقه ابن حبان.

(٥٤) انظر: محاسن التأويل للقاسمي (٤٠١/٦).

(٥٥) انظر: تفسير المراغي (١٣٧/١٤).

(٥٦) انظر: تفسير الطبري (١٢٩/١٥)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٩٩/١٠)، والدر المنثور (٣٧٧/٥).

(٥٧) تفسير الطبري (١٣١/١٥).

(٥٨) انظر: تفسير أبي السعود (١٨٨/٥)، وتفسير السعدي (٤٦٤/١).

(٥٩) انظر: أضواء البيان للشنقيطي (١٧٨/٢).

(٦٠) انظر: تفسير الرازي (١٠٠/١٠).

(٦١) التحرير والتنوير (١٧٤/١٥).

(٦٢) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٧٩/٢).

(٦٣) أضواء البيان (١٧٩/٢).

(٦٤) أخرجه الطبري عن ابن عباس في تفسيره (١٣١/١٥).

(٦٥) انظر: الكشاف للزمخشري (٦٤٠/٢)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٠١/١٠)، والفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب لابن معمر (٢٤٩/٢).

(٦٦) أضواء البيان (١٧٩/٢).

(٦٧) انظر: فيض القدير للمناوي (٣٢٢/٦)، والفواكه العذاب لابن معمر (٢٤٩/٢)، وأضواء البيان (١٧٩/٢).

(٦٨) تفسير الرازي (١٨/٢١)، وسيأتي تفسير الآية في المطلب الآتي.

(٦٩) الكشاف (٦٤٠/٢).

(٧٠) انظر: تفسير السعدي (٤٦٤/١).

(٧١) أزواجه ﷺ ورضي الله عنهن أولاهن خديجة بنت خويلد، ثم تزوج بعد موتها سودة بنت زمعة، ثم تزوج بعدها أم عبد الله عائشة الصديقة بنت الصديق، ثم تزوج حفصة بنت عمر بن الخطاب، ثم تزوج زينب بنت خزيمة، ثم تزوج أم سلمة هند بنت أبي أمية، وتزوج صلى الله عليه وسلم جويرية بنت الحارث، ثم تزوج أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان، وتزوج صفية بنت حيي بن أخطب، ثم تزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية وهي آخر من تزوج بها.

قال ابن قيم الجوزية: ولا خلاف أنه ﷺ توفي عن تسع، وكان يقسم منهن لثمان: عائشة، وحفصة، وزينب بنت جحش، وأم سلمة، وصفية، وأم حبيبة، وميمونة، وسودة، وجويرية.

زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم (١١٠/١).

(٧٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه (٨٧٣/٢) رقم (٢٣٢٦) كتاب المظالم، باب الغرفة والعلية المشرفة في السطوح وغيرها. وفي (١٧٩٦/٤) رقم (٤٥٠٧) كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا﴾ (الأحزاب: ٢٨). وأخرجه مسلم في صحيحه (١١٠٢/٢) رقم (١٤٧٥) كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقا إلا بالنية.

(٧٣) تفسير القرآن العظيم (٤٨١/٣).

(٧٤) المصدر السابق (٥٠٣/٣).

(٧٥) روح المعاني (١٨٤/٢١).

(٧٦) التحرير والتنوير (٣١٨/٢١).

(٧٧) انظر: المصدر السابق (٣٢٠/٢١).

(٧٨) تفسير القرآن العظيم (٤٨٢/٣).

(٧٩) الكشاف (٥٤٤/٣).

(٨٠) المحرر الوجيز (٣٨١/٤).

(٨١) البحر المحيط (٢٢٠/٧).

(٨٢) انظر: روح المعاني للألوسي (١٨٤/٢١).

(٨٣) الكشاف (٥٤٤/٣).

(٨٤) ذكره البغوي في معالم التنزيل (٥٣٧/٣).

(٨٥) انظر: الكشاف للزمخشري (٥٤٤/٣)، وتفسير أبي السعود (١٠٢/٧).

فهرس المراجع

إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود)، أبو السعود العمادي محمد بن محمد، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

الإيمان، لأحمد عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني، الناشر : المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

بحر العلوم، نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت.

البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت.

التحرير والتنوير (تفسير ابن عاشور)، محمد الطاهر بن محمد ابن عاشور التونسي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

تفسير القرآن العزيز، محمد بن عبد الله بن عيسى الإلبيري المعروف بابن أبي زمنين المالكي، المحقق: حسين بن عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز، مكتبة الفاروق الحديثة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.

التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الثانية ١٤١٨ هـ

تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت ٢٠٠١م، الطبعة الأولى.

التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف الحدادي المناوي، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي)، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، المحقق: عبد الرحمن ابن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة.

جامع البيان في تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

الجامع الصحيح (صحيح البخاري)، محمد بن إسماعيل البخاري، دار الشعب، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٧ - ١٩٨٧، حسب ترقيم فتح الباري.

الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) دار الفكر - بيروت.

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٥ هـ

زاد المسير في علم التفسير، عبدالرحمن بن علي الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٤.

زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة السابعة والعشرون ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

الزهد، هناد بن السري الدارمي الكوفي، المحقق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٦.

الزهد، وكيع بن الجراح ابن رؤاس الرؤاسي، حققه: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

طريق الهجرتين وباب السعادتين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار السلفية، القاهرة، الطبعة الثانية١٣٩٤هـ

العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ، محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي، علق عليه: محب الدين الخطيب رحمه الله، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ

الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب، حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر، تحقيق: عبدالسلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم، دار العاصمة، الطبعة الأولى.

فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الاولى ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٤ م.

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧ هـ

الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.

اللباب في علوم الكتاب، عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، دار النشر/دار الكتب العلمية ـ بيروت.

لسان العرب، محمد بن مكرم بن على ابن منظور الإفريقى، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤ هـ

مجمل اللغة، أحمد بن فارس الرازي، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م.

محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه، بيروت، الطبعة الأولى ـ ١٤١٨ هـ

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية لبنان الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

مسند أبي عوانة، أبو عوانة يعقوب بن إسحاق الإسفرائيني، تحقيق: أيمن بن عارف الدمشقي، الناشر: دار المعرفة – بيروت.

معالم التنزيل في تفسير القرآن - تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت.

المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، دار الدعوة.

مفاتيح الغيب (تفسير الرازي)، محمد بن عمر فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م.